جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

دور الهجرة النبوية في حماية العقيدة

وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر

إعداد

د. هيثم عشري برهام عبد الرحيم

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

دور الهجرة النبوية في حماية العقيدة
وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر

هيثم عشري برهام عبد الرحيم

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة أسيوط، مصر.

الإميل الجامعي: Haithamborham٤٨١٩@azhar. edu. eg

ملخص البحث

يكشف البحث عن أن الهجرة المأمور بها لم تكن تخليًا عن المسئولية ولا انسحابًا من الميدان، إنما هي عملية مرحلية ينتقل فيها المسلمون من المكان الذي يستضعفون فيه وتجرى فيه محاولات فتنهم عن دينهم ظلمًا وعدوانًا إلى المكان الذي يستطيعون فيه إقامة شعائرهم وتكوين معسكرهم الجديد للدعوة إلى الله – تعالى –.

كما يثبت البحث أن الإسلام ليس دين عنف كما يدعي البعض الآن وأنه لم يُشهر السيف إلا في وجه المعتدين الظالمين المانعين وصول دعوة الحق إلى العباد كحل أخير بعد استنفاذ كل الطرق السلمية.

كما يكشف البحث عن أن النبي (ﷺ) وصحابته الكرام قد أرسوا مبدءًا هامًا على جميع نشئنا وشبابنا أن يتعلمه وهو مبدأ: (التضحية من أجل العقيدة).

كما يشير البحث إلى أمر هام استفيد من أحداث الهجرة وهو أن إعلان الحرب لا يمكن أن يخضع للاجتهاد الفردي من آحاد الأمة – كما يفعل بعض الشباب المُغرر بهم في واقعنا المعاصر – إنما هو من صلاحيات القيادة السياسية التي على رأس الدولة أو الحكومة.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الحماية، العقيدة، سُبُل، الاستفادة .

The Role of the Prophetic Migration in Protecting the Faith and Ways to Benefit from it in Contemporary Reality

By: Haitham Ashry Borham Abdel-Rahim
Department of Islamic Dawah and Culture، College of Islamic Assiut University، Egypt.

Email: haithamborham٤٨١٩@azhar. edu. eg

Abstract

This research reveals that the commanded migration was not an abandonment of responsibility or a retreat from the field، but rather a phased process in which Muslims moved from a place where they were oppressed and subjected to attempts to divert them from their religion through injustice and aggression to a place where they could establish their rituals and form a new base for calling to Allah.

The research also proves that Islam is not a religion of violence، as some claim today، and that the sword was only drawn against unjust aggressors who prevented the call of truth from reaching people as a last resort after exhausting all peaceful means.

Moreover، the research reveals that the Prophet (peace be upon him) and his noble companions established an important principle for all our youth to learn، which is the principle of "sacrifice for the sake of belief. "

Furthermore، the research points to an important matter learned from the events of the migration، which is that the declaration of war cannot be subject to the individual ijtihad of members of the nation، as some misguided youth do in our contemporary reality، but rather it is the prerogative of the political leadership at the head of the state or government.

Keywords: Migration، protection، belief، ways، benefi

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فإن الهجرة حالة لا يقوم بها البشر وحدهم إنما يشاركهم فيها غيرهم من الكائنات والمخلوقات، أما الهجرة النبوية المباركة فقد كانت نسيج وحدها حيث إنها ليست كغيرها من هجرات البشر الذين ينتقلون ويرتحلون من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال، إنما هي هجرة موجهة من الحضرة الإلهية وليست من توجيه البشر وفكرهم وعقلهم، هجرة يضحي فيها المسلم بأعز ما يملك حفاظًا على العقيدة التي وقرت في قلبه طمعًا في نيل القبول عند الله (ﷻ).

فلقد ظل النبي(ﷺ) بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى العقيدة الصحيحة بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، فأبى أكثرهم إلا كفرًا وصدًا عن سبيل الله ودعوة نبيه(ﷺ)، كل ذلك والنبي(ﷺ) حريص على دعوة قومه وهدايتهم ونجاتهم من النار حيث جاءه التوجيه الإلهي قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1].

ولقد لقى المسلمون آنذاك صنوفًا من ألوان التنكيل بهم على جميع الأصعدة لا سيما من لم يكن منهم صاحب مَنَعة في قومه، ومن ينظر إلى هذه العداوة يجد أن سببها المباشر هو العقيدة الجديدة التي سيقضي الإيمان بها على مصالح المشركين ونفوذهم في شبه الجزيرة وستقف حائط صد أمام شهواتهم وملذاتهم، فحاولوا تصوير الحق على

(١) سورة الشعراء: آية (٢١٤).

أنه باطل والباطل على أنه الحق، واتهموا من كانوا لا يشكون هم أنفسهم في صدقه وأمانته يومًا مذ نشأته بينهم وعلى أعينهم بأنه كذاب وأنه ساحر وأنه مجنون إلى غير ذلك من الاتهامات التي هم أول من يعلم أنها محض زيف وافتراء، كل ذلك خوفًا من الانصياع للعقيدة التي تقيد حرياتهم وتكبح جماح شهواتهم وملذاتهم التي كانوا يريدونها مطلقة لا قيد على ممارستها أو شرط، فلقد وجدوا أنفسهم أمام أوامر شرعية لا تقبل النقاش فيها أو المراوغة، فقاموا بعملية صد ممنهج ومكتمل الأركان عن اتباع دعوة الإسلام، والانصياع لأوامره، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل إيقاف هذا المد الإسلامي الذي بات يهدد حصونهم من داخلها، ويأتي على باطلهم من القواعد.

ولما وجد النبي (ﷺ) وصحابته الكرام أن وجودهم في مكة ليس له قوة تحمية وأن الخطر محيق بهم من كل ناحية، الأمر الذي يهدد بقاء الدعوة من الأساس، أتى الأمر من المولى – سبحانه وتعالى– بالهجرة إلى المدينة حيث معقل الإيمان الجديد، وحماية العقيدة.

أسباب اختيار البحث:

هناك عدة أمور دعتني بتوفيق الله (ﷻ) إلى اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه أهمها ما يلي:

أولًا– الرغبة في استخراج الدروس المستفادة من أحداث الهجرة النبوية المباركة وتعليمها للنشء والشباب وتقديم القدوة والمثل من خلالها.

ثانيًا– الرغبة في الإسهام في توظيف السيرة النبوية الشريفة في الدعوة إلى الله – تعالى–.

ثالثًا– محاولة الرد على الافتراءات التي تدعي أن دعوة الإسلام قامت بالسيف وذلك من خلال عرض ما لاقاه النبي (ﷺ) والمسلمون في مكة من إيذاء واضطهاد، ومع ذلك لم يشهروا السيف في وجه المعتدين إلا بعد حين.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث من خلال عدة أمور أهمها:

أولًا– ضرورة التصدي للهجمة الشرسة التي يشنها المغرضون على السيرة النبوية المشرفة وتوضيح الحقائق التي يقومون بتزييفها.

ثانيًا– أهمية الدراسات التي تبرز الوجه الحضاري للإسلام في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وعدم اللجوء إلى استخدام القوة إلا في أضيق الحدود كهذا البحث الذي بين أيدينا الآن.

ثالثًا– ضرورة الاستفادة من أحداث الهجرة النبوية المباركة في ترسيخ عدد من المبادئ المهمة يحتاج إليها كل مسلم وعلى رأسها مبدأ: التضحية من أجل العقيدة وبذل الغالي والنفيس من أجل الحفاظ عليها وصونها عن العبث بها أو ممارسة أي ضغوط على المرء للتخلي عن عقيدته.

منهج[1] البحث:

لقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المناهج الآتية:

١- **المنهج التاريخي**: وهو (المنهج الذي يعتمد على عملية استرداد ما كان في الماضي للتحقق من مجرى الأحداث، ولتحليل القوى والمشكلات التي صاغت

(١) المنهج هو: (القواعد الأساسية الَّتِي ينطلق منها الباحث وهذه القواعد ضوابط تضبط عمله كله، بخطواته ومراحله وتصبغ جهده كله بصبغتها، والمنهج في أصل استخدامه بمعنى الطريق الواضح أَو توضيح الطريق، والظاهر من استخدامه عند السابقين أنهم استخدموه بمعنى الطريق، ونتيجة التطور الدلالي للألفاظ سار المنهجُ إلى الاستخدام المعنوي، وهي القواعد. فالمعاصرون استخدموه بالمعنيين: الحسي وهو الطريق، والمعنوي وهي القواعد). انظر: (المنهج الفقهي للإمام اللكنوي، الدكتور: صلاح محمد أبو الحاج (ص: ٢٩-٣٠)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، الناشر: دار النفائس، عمان، الأردن). ومنهج البحث في الجملة هو: الطريق الذى يسلكه الباحث في بحثه بُغية الوصول إلى هدفه المنشود من نتائج البحث.

معطيات الحاضر)[١].

وبمعنى آخر: هو منهج يقوم على استرداد الأحداث التي وقعت في الماضي وتحليلها تحليلًا دقيقًا بغية الوصول إلى نتائج عامة تساعدنا في فهم قضايا الحاضر، وبيان جذورها التاريخية، بُغية حلها من خلال الخبرة التاريخية.

٢- **المنهج الاستقرائي هو**: (نوع من التفكير وأسلوب للدراسة يتتبع الجزئيات للتوصل منها إلى حكم كلي)[٢] وقد قمت بتتبع الجزئيات ذات الصلة بالموضوع من مظان البحث للوصول إلى النتائج النهائية.

٣- **المنهج التحليلي هو**: (منهج يقوم على دراسة الإشكاليات العلمية المختلفة، تفكيكًا، أو تركيبًا، أو تقويمًا، فإذا كان الإشكال تركيبة منغلقة من التراث أو الفكر الإسلامي المعاصر قام المنهج بتفكيكها وإرجاع العناصر إلى أصولها)[٣] وقد قمت بجمع النصوص ذات الصلة ثم قمت بتحليلها وصياغة ما يستفاد من كل نص بأسلوب عصري.

خطوات البحث:

أولًا- تخريج الآيات القرآنية التي ورد ذكرها في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ثانيًا- تخريج الأحاديث النبوية التي ورد ذكرها في البحث من كتبها المعتمدة، وما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فلم أذكر أقوالًا للعلماء في الحكم عليه أما مالم

---

(١) (منهجية إعداد بحوث الدراسات العليا (ماستر – ماجستير – دكتوراه) د/ الهاشمي بن واضح (ص٢٦) بدون طبعة ٢٠١٦م).

(٢) مناهج البحث في العلوم السياسية، دكتور: محمد محمود ربيع (صـ: ٢٥٣) الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، الناشر: مكتبة الفلاح- الكويت.

(٣) أهمية المنهج التحليلي وتطبيقه في العلوم الإسلامية، فاطمة الزهراء العباسي (صـ: ١١) بدون طبعة أو تاريخ.

يكن في الصـــحيحين، أو أحدهما فقد ذكرت الحكم عليه من خلال أقوال أئمة هذا الفن.

ثالثًا– توثيق المصـــادر، والمراجع، وعزو الأقوال إلى قائليها بذكر اســم المصـــدر أو المرجع ثم المؤلِف، ثم الجزء والصـفحة، ثم دار النشـر، والطبعة، والتاريخ إن وجد، وذلك عند أول ذكر للمصدر، أو المرجع، أما إذا نقَلت منه بعد ذلك مرة ثانية فإنني اكتفى بذكر اســم المصـــدر، أو المرجع فقط اللهم إلا إذا كان طبعة مختلفة عن الطبعة التي سبقت الإشارة إليها.

رابعًا– التعريف بالأعلام، وأماكن البلدان، والألفاظ الغامضة في البحث.

خامسًا– تذييل البحث بفهرس للمصادر، والمراجع، وفهرس للموضوعات.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما وقع عليه نظري دراســـة علمية أكاديمية طرقت هذا الموضـــوع بهذه العنوان، إلا أنه وللأمانة العلمية قد وقع نظري على رســـالة ماجســـتير بعنوان: "**بعض المواقف التربوية المستنبطة من الهجرة النبوية**"، في قسم التربية الإسلامية والمقارنة، في كلية التربية، جامعة أم القرى، بالمملكة العربية الســـعودية، إعداد الباحثة: وفاء بنت حسن بن علي فوال الثقفي، إشراف الدكتور/ عبدالله محمد حريري، وناقش الرسالة أ. د/ محمد جميل علي خياط، وأ. د/ أحمد عبدالله بن حميد، وقد نوقشـــت هذه الرســـالة ١٤١٩هـ.

وقد تناولت الدراســـة عددًا من الوقائع التي حدثت قبل وأثناء وبعد الهجرة واستخلصت منها الجانب التربوي حسب التخصص بطبيعة الحال، أما بحثي هذا فقد جاء مركزًا على استخراج الدروس المستفادة من دور الهجرة النبوية المباركة في حماية العقيدة، وكيف كانت تضـــحيات النبي (ﷺ) والصـــحابة الكرام من أجل العقيدة والحفاظ

عليها بعيدة عن الضغوط رغم كل ما تعرضوا له من أذى وتحديات، الأمر الذي يجعل موضوع هذه الرسالة من حيث العرض والتناول بعيدًا كل البعد عن موضوع بحثي.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج البحث، وخطوات البحث، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على معاني الكلمات المفتاحية الواردة في عنوان البحث.

المبحث الأول: فرضية الهجرة لحماية العقيدة، وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر.

المبحث الثاني: الاستثناء من فرضية الهجرة، وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر.

المبحث الثالث: نماذج من التضحيات وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر.

المبحث الرابع: القتال للدفاع وتأمين حرية العقيدة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر.

المبحث الخامس: دور الوطن الجديد في حماية العقيدة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر.

* * *

التمهيد

ويشتمل على معاني الكلمات المفتاحية في عنوان البحث وهي:

(**الهجرة – الحماية - العقيدة – سُبُل – الاستفادة**)

أولًا- تعريف الهجرة:

الهجرة لغة: من (الهجر ضد الوصل، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق)[١].

("فالهجرة" الاسم من الهجر؛ هذا هو الأصل ثم نقل إلى من خرج من بلده إلى بلد آخر تاركًا للأول راغبًا في الثاني، والمهاجرة مفاعلة منه)[٢]، (والتهاجر التقاطع)[٣]، وهجر الشيء: (الترك له والإعراض عنه. يقال: هجرت الشيء هجرًا إذا تركته وأغفلته)[٤].

(قال الأزهري[٥]: وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن؛

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) (٥/ ٢٥٢)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) الشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْرْ، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (١٠٧/٤)، المحقق: أحمد بن سليمان – أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، الطبعة: الأولي، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، الناشر: مَكتَبةَ الرُّشْدِ، الرياض – المملكة العربية السعودية.

(٣) لسان العرب (٥/ ٢٥٠).

(٤) نفس المرجع والصفحة.

(٥) الأزهري (٢٨٢ – ٣٧٠ هـ = ٨٩٥ – ٩٨١ م) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان، نسبته إلى جده «الأزهر» عني بالفقه =

يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك؛ وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه، وسُمِّي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة؛ فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلدًا آخر، فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة. قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[1]، إذا فالمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية))[2]، (فالهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره)[3]، و(المهاجرة: مفارقة الأوطان والأهل)[4].

وإذا أطلقت الهجرة النبوية انصرفت إلى هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم –

فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم.

ووقع في إسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن «يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن» كما قال في مقدمة كتابه «تهذيب اللغة» – ط، ومن كتبه «غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء – خ» و«تفسير القرآن» و«فوائد منقولة من تفسير للمزني – خ» (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) (٥/ ٣١١) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م).

(١) سورة النساء: الآية ١٠٠.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي المتوفى: ١٢٠٥هـ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية. (١٤/ ٣٩٧- ٣٩٨).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) (٥/ ٢٣٣)، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني المتوفى: ١٣٥٤هـ(٢/ ٢٥٤)، طبعة ١٩٩٠ م، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وأصحابه من مكة إلى يثرب والتي سميت بعد ذلك المدينة المنورة.

الهجرة اصطلاحًا: عرفها الإمام السندي[١] **بأنها**: ((ترك الوطن والانتقال إلى المدينة تأييدًا وتقويةً للنبي –صلى الله عليه وسلم– والمسلمين وإعانةً لهم على قتال الكفرة))[٢].

وقيل هي: (ترك الوطن إلى بلد غيره للإقامة فيه)[٣].

بناءً على ما سبق أستطيع أن أقول: إن الهجرة تطلق ويراد بها أحد معنيين:

أولهما– مطلق الانتقال من مكان إلى آخر كما يستخدم في واقعنا المعاصر الآن تقول: فلان هاجر إلى دولة كذا يعنى طاب له العيش فيها، واستقر بها، وصارت محلة إقامته.

ثانيهما– هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام من مكة إلى يثرب والتي سميت بعد ذلك بالمدينة المنورة.

وهناك إطلاقات أخرى لا يعنيني ذكرها لأنها ليست مُرادة في بحثي هذا والمراد من الهجرة النبوية الكائنة في عنوان البحث: المعنى الثاني السابق ذكره.

---

(١) هو: (محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي: فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية. أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي. له (حاشية على سنن ابن ماجة – ط) و (حاشية على سنن أبي داود خ) و (حاشية على صحيح البخاري – ط) و (حاشية على مسند الإمام أحمد) و (حاشية على صحيح مسلم – خ) و (حاشية على سنن النسائي – ط) و (حاشية على البيضاوي) وغير ذلك توفى سنة (١١٣٨ هـ = ١٧٢٦ م). [انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٣)].

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن)، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ) (٧/ ١٤٣)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هجري– ١٩٨٦ م.

(٣) معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي (ص: ٤٩٢)، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

ثانياً- تعريف الحماية:

الحماية من: ((حماه) يحميه (حماية) دفع عنه وهذا شيء (حمى) أي محظور لا يقرب))[(١)] (وحميت القوم حماية، إذا نصرتهم، ومنعتهم من الظلم) [(٢)]، وحماية النفس الدفاع عنها ضد أي خطر يهددها.

(**والحماية** تكون لما لا يمكن إحرازه وحصره مثل الأَرْض والبلد تَقول هُوَ يحمي الْبَلَد وَالْأَرْض). [(٣)]

والعقيدة – المذكورة في عنوان البحث – ليست شيئًا محسوسًا إنما هي شيء معنوي غير ملموس إنما الملموس أثر الإيمان بها واعتقادها وهو العمل بالأركان.

وبناء على ما سبق فحماية العقيدة تعني: الدفاع عنها وصيانتها من العبث بها أو ممارسة أي ضغوط على الشخص مادية أو معنوية للتخلي عنها أو زعزعة استقرارها في صدره.

ثالثاً- تعريف العقيدة:

العقيدة لغة: من ((عقد) العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة

---

(١) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) (ص: ٨٢) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٢) الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (المتوفى: ٣٠٢هـ) (٢/ ٥٠٣)، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

(٣) (الفروق اللغوية للعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) (ص: ٢٠٧)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر).

وثوق)[١]((وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد والجمع عقود، وعقدة النكاح وكل شـــيء: وجوبه وإبرامه، والعقدة في البيع: إيجابه، يقال اعتقد فلان عقدة، أي اتخذها. واعتقد مالًا وأخًا، أي اقتناه، وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه)) [٢]ومنه ((اعتقد) كذا بقلبه. وليس له (معقود) أي عقد رأي. و(المعاقدة) المعاهدة و(تعاقد) القوم فيما بينهم. و(المعاقد) مواضع العقد)) [٣].

و(الاعتقاد السَّائد: الرَّأي السَّائد– وحريَّة اعتقاد: حرّيّة اختيار المُعْتَقَد– في اعتقادي: في رأيي)[٤].

وعليه فالمراد بالعقيدة في اللغة: ما يعتقده الإنسان بقلبه.

العقيدة اصطلاحًا هي: (ما يدين به الإنسان في الجملة سواءً كانت عقيدة حسنة أو غيرها)[٥].

والاعتقاد: (التصـــديق القاطع بشـــيء يُؤمن به مجموعة من الأشـــخاص، مثل: "الاعتقاد بحقّ الإنسان في الحياة الكريمة أساس التَّمدُّن والارتقاء")[٦].

وهذا المعنى هو للعقيدة في العموم بطبيعة الحال أما المراد بها في عنوان البحث فهو: العقيدة الإسلامية.

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) (٤/ ٨٦)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) مقاييس اللغة للقزويني، (٤/ ٨٦).

(٣) مختار الصحاح (ص: ٢١٤).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٢٧).

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) (٢/ ٤٢١)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٢٧).

رابعاً- تعريف السُبُل:

السُبُل جمع سبيل (والسَبيلُ: الطريق، يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾(١) فأنّث. وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ﴾(٢).

فذّكّر. وسَبَّلَ ضيعتَه، أي جعلَها في سَبيلِ الله. وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾(٣) أي: سببًا ووُصْلَة) (٤).

والسبل المذكورة في عنوان البحث والتي هي جمع سبيل إنما تعني الطرق التي من خلالها نحَصّل الفائدة من تضحيات النبي -صلى الله عليه وسلم- والمهاجرين الأوائل في المثل والقدوة.

خامساً: تعريف الاستفادة:

الاستفادة في اللغة: من (استفاد والإفادة في كلام العرب لها معنيان متضادان يقال أفاد غيره مالًا إذا أعطاه وأفاد مالًا أي استفادة لنفسه والمفيد المعطى والمفيد

(١) سورة يوسف آية: (١٠٨).

(٢) سورة الأعراف: آية: (١٤٦).

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) (ص: ٢١٤)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) (٥/ ١٧٢٤)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

المستفيد) [1].

الاستفادة اصطلاحًا هي: (جني المنفعة وتحصيل الفائدة)[2].

والمراد منها في عنوان البحث: تحصيل الفائدة العملية في واقعنا المعاصر باتخاذ القدوة مما قام به النبي (ﷺ) وصـــحابته المهاجرين الكرام من ثبات على العقيدة و تضحية من أجلها بغية حمايتها رغم كثرة التحديات.

❊ ❊ ❊

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) (ص: ١٥٢)، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٧٥٨).

المبحث الأول: فرضية الهجرة لحماية العقيدة وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر

لقد ابتلي المهاجرون ابتلاءً عظيمًا حيث وجدوا أنفسهم بين خيارين لا ثالث لهما: فإما أن يضحّوا بعقيدتهم ويرتدوا على أدبارهم بعد إذ هداهم الله فيأمنوا من عدوهم المتربص بهم المتابع لكل تحركاتهم المتأهب للانقضاض عليهم في كل وقت ويتيسر لهم التمتع بضياعهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم، وإما أن يضحوا بذلك كله بل ويتركوه خلف ظهورهم قادمين على مستقبل مجهول نظير الفوز بالعقيدة والظفر بالجنة، فاختاروا التضحية بكل شيء وهاجروا إلى الله ورسوله فجاءت الاستجابة التي تطمئنهم وتعلمهم أن بيعهم قد ربح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1].

ومن ذلك يظهر واضحًا (أن الله –عز وجل– جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء، فلا قيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال، ولذا فرض الله على عباده أن يضحوا بكل ذلك– إذا اقتضى الأمر– في سبيل العقيدة والإسلام)[2].

ولقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين فعدّ منها الهجرة إلى الله تعالى، كما ذم الذين قعدوا عن الهجرة، ورضوا بالبقاء وسط الكافرين فأسقط الولاية عنهم فقال– سبحانه–: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ

(١) آل عمران: آية(١٩٥)

(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، المؤلف: محمّد سَعيد رَمضان البوطي، (ص: ١٣٦)، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ، الناشر: دار الفكر – دمشق.

أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾[1].

فلقد ركزت الآيات الكريمة على إبراز تضحية المهاجرين من أجل حماية عقيدتهم وصونها عن المساومة عليها فذكرت الجهاد بالنفس والمال وهما أعز ما يملك الإنسان، كما تؤكد الآية الكريمة على حقيقة مفصلية مهمة تثلج صدور المهاجرين وتعلمهم أنهم على الحق، وتطمئنهم على صحة عقيدتهم وطهارة سريرتهم بأن كل هذا الجهاد وتلك الهجرة إنما هي في سبيل الله – تعالى– وليست سعيًا وراء مكسب زائل من متاع الدنيا الفانية وكفى به تكريمًا وتشريفًا.

ثم انتقل إلى الصنف الآخر الذي آثر البقاء بين ظهراني المشركين، بقطع الولاية بينهم وبين المؤمنين المهاجرين، إلا في حالة طلب النصرة التي توجب على المسلم بطبيعة الحال أن ينصر أخاه، وهذا القطع للولاية بين الفريقين – المهاجرين والمتقاعسين عن الهجرة – تنتهي مدته عند إعلانهم الهجرة إلى الدولة الإسلامية الوليدة بالمدينة المنورة لتقوية شوكة إخوانهم ومشاركتهم في بناء دولتهم تاركين المشركين الذين آذوهم في عقيدتهم وحاربوهم في دينهم.

(١) سورة الأنفال: الآيات(٧٢ – ٧٤).

وفي هذا الصـدد يقول الإمام الفخر الرازي[1] – رحمه الله تعالى-: ((واعلم أن قوله تعالى: (ما لكم من ولايتهم من شـيء) يوهم أنهم لما لم يهاجروا مع رسـول الله – صـلى الله عليه وسلم سـقطت ولايتهم مطلقًا، فأزال الله – تعالى – هذا الوهم بقوله: (ما لكم من ولايتهم من شـــيء حتى يهاجروا) يعني أنهم لو هاجروا لعادت تلك الولاية وحصلت، والمقصود منه الحمل على المهاجرة والترغيب فيها، لأن المسلم متى سمع أن الله تعالى يقول: إن قطع المهاجرة انقطعت الولاية بينـه وبين المســلمين ولو هاجر حصــلت تلك الولاية وعادت على أكمل الوجوه، فلا شــك أن هذا يصــير مرغبًا له في الهجرة، والمقصـــود من المهاجرة كثرة المســـلمين واجتماعهم وإعانة بعضـــهم لبعض، وحصول الألفة الشوكة وعدم التفرقة))[2].

وقد استحق المهاجرون المضحون بكل شيء من أجل نصرة العقيدة وحمايتها هذا الجزاء العظيم الذي ينتظرونه وهو قبل أن يكون أجرًا حسنًا جزاء ما تحملوا وضحوا هو إعلام لهم وللناس جميعًا ولكل من ســـيقرأ هذه الآية بعدهم من الأجيال المتعاقبة بأن

---

(١) الفخر الرازى: (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ – ١٢١٠ م) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها.

وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب – ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات – ط) و (معالم أصول الدين – ط) و (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. (الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣)).

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى: ٦٠٦هـ، (١٥/ ٥١٧) الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

إيمانهم قد بلغ الدرجة المرضية عند الله – سبحانه– وبلغ أعلى المراتب فصرح بأنه الإيمان الحق وأنهم المؤمنون حقًا ثم أعقبه بعد ذلك بالوعد بالمغفرة عن كل ما صدر منهم مما يصدر من البشر من هفوات أو مخالفات أو غير ذلك، وكذلك بالأجر الكريم بعد تلك المغفرة الممنوحة لهم من الله – سبحانه– من فوق سبع سماوات.

تعقيب:

ومما سبق عرضه تظهر حكمة الشارع في تشريع الهجرة من مكة إلى المدينة صونًا لعقيدة المؤمنين عن العبث بها وممارسة أي ضغوط عليهم لتركها أو الكفر بها والرجوع إلى عقيدة المشركين الباطلة.

ولم تكن هذه الهجرة المأمور بها تخليًا عن المسئولية ولا انسحابًا من الميدان، إنما هي عملية مرحلية ينتقل فيها المسلمون من المكان الذي يستضعفون فيه وتجرى فيه محاولات فتنهم عن دينهم ظلمًا وعدوانًا إلى المكان الذي يستطيعون فيه إقامة شعائرهم وتكوين معسكرهم الجديد للدعوة إلى الله – تعالى – عن طريق اللسان أو السنان إن تطلب الأمر.

ويمكننا أن نستخلص من هذا الدرس أنه على المؤمن في أي زمان وفي أي مكان إذا كان لا يأمن على عقيدته من محاولات فتنه عنها أن ينتقل إلى مكان آخر يأمن فيه على عقيدته ويضمن حريتها، وهو في الوقت ذاته يحمل رسالته على عاتقه في المشاركة في إنشاء جيل قوي العقيدة راسخ الإيمان يعيد الحق المغتصب إلى أهله بعد إعداد العدة والتزود بالعقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ والقوة التي تحمي الحق وتردع المعتدي.

القعود عن الهجرة وخطره على العقيدة:

لقد وُجد فريق قابعين في مكة بعد هجرة النبي(ﷺ) وأصحابه ولم يلتحقوا بمعقل الإيمان الجديد مع قدرتهم على ذلك راضين بالعيش الذليل تحت إمرة الكفار وسيطرتهم وقد نزل في هؤلاء القرآن الكريم دالًا على طريقة التعامل معهم في قوله – تعالى–:

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].

ولقد ذكر جمع من ساداتنا المفسرين أن الهجرة المرادة في الآية هي الهجرة من مكة إلى المدينة ومنهم الإمام السمرقندى[2]حيث قال: ((فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ) في الدين والنصرة (حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) حتى يتوبوا ويرجعوا إلى دار الهجرة بالمدينة (فَإِنْ تَوَلَّوْا) يعني: أبوا الهجرة (فَخُذُوهُمْ) يعني: فأسروهم (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) يعني: أين وجدتموهم من الأرض (وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا) في العون))[3].

وقال الإمام مقاتل[4] أيضًا في تفسير قوله – تعالى–: ﴿ **فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ**

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٩.

(٢) أبُو اللَّيْث السَّمَرْقندى هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّمَرْقَنْدي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها " تفسير القرآن – خ " أجزاء متفرقة منه، وهو غير كبير، اقتنيت منه الجزء الأخير، أوله تفسير سورة " الحاقة " وله " عمدة العقائد – خ " انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٢٧).

(٣) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، (١-٣٢٥).

(٤) مقاتل بن سُلَيْمان (١٥٠ هـ = ٧٦٧ م) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه (التفسير الكبير – خ) جزء منه، و (نوادر التفسير) و (الرد على القدرية) و (متشابه القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (القرآت) و (الوجوه والنظائر) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨١).

حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (يعني: حَتَّى يهاجروا إلى دار الهجرة بالمدينة)[١].

فقد صـــارت المدينة المنورة معقل الإيمان وأهله والمَنجي من الكفر وأهله بعد قدوم النبي (ﷺ) إليها هو وأصحابه.

(وقد ذكر الله – تعالى – لفظًا عامًا يتناول الكل فقال: حتى يهاجروا في سبيل الله فإنه – تعالى – لم يقل: حتى يهاجروا عن الكفر، بل قال: حتى يهاجروا في ســـبيل الله وذلك يدخل فيه مهاجرة شـــعار الكفر، ثم لم يقتصـــر تعالى على ذكر الهجرة، بل قيدها بكونها في سبيل الله، فإنه ربما كانت الهجرة من شعار الكفر إلى شعار الإسلام لغرض من أغراض الدنيا، إنما المعتبر وقوع تلك الهجرة لأجل أمر الله –تعالى–)[٢].

وهكذا جاء حديث القرآن الكريم عن تاركي الهجرة بغير عذر في معرض الذم الشديد في أكثر من موضع ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[٣].

(وهذه الآية بيان لحال الذين قعدوا عن الهجرة، وآثروا البقاءَ في مكة)[٤].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الأَسْوَدِ[٥]، قَالَ:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (٣٩٥-١)، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ، الناشر/ دار إحياء التراث – بيروت.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (١٧١-١٠).

(٣) سور النساء: الآية ٩٧.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٢/ ٨٨٨)، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) الناشر/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(٥) هو: (محمد بن عبدالرحمن بن نوفل بن الأسود بن نوفل بن خويلد أبو الأسود القرشي الأسدي المدني يتيم عروة بن الزبير كان دفع إلى مصر في سلطان بني أمية مات سنة سبع عشرة ومائة =

قُطِعَ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ بَعْثٌ، فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ[١]، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ[٢] فَأَخْبَرْتُهُ، فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «**أَنَّ نَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ**[٣]، **عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ – أَوْ يُضْرَبُ**

وهو أحد بني أسد بن عبد العزى بن قصي) (رجال مسلم، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر توفي ٤٢٨ هـ (٢/ ١٩١) تحقيق عبد الله الليثي، الناشر دار المعرفة، سنة النشر ١٤٠٧ هـ مكان النشر: بيروت).

(١) هو: (عكرمة " بن عبد الله البربري مولى بن عباس أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام وروى عنه الشعبي والنخعي، وله تفسير توفي ١٠٥ هـ) (لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) (٧/ ٣٠٨)، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م)..

(٢)هو: (عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وكان يسمى الحبر والبحر لكثرة علمه وحدة فهمه، حبر الأمة وفقيهها، محنك بريق النبوة، ومدعو له بلسان الرسالة: فقهه في الدين وعلمه التأويل. وكان له الجواب الحاضر والوجه الناضر، صبيح الوجه، له وفرة مخضوبة بالحناء، أبيض طويل، مشرب صفرة، جسيم، وسيم، علمه غزير وخيره كثير، وكانت عائشة تقول: هو أعلم من بقي بالسنة. توفي ٦٨ هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) (٧٣/ ١٧٨)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ –.

(٣) (يكثرون سواد المشركين) يعني: (جماعتهم أي مع أنهم لا يوافقونهم في قلوبهم كانوا ظالمين لأنهم أفادوهم قوة بوجودهم معهم. والسواد العدد الكثير وسواد الناس معظمهم وأكثرهم) من تعليق البغا على صحيح البخاري– (٤/ ١٦٧٨) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

فَيُقْتَلُ» – فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ... الآيَةَ﴾ (١).

﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ (أي إن الذين أسلموا، وآثروا البقاء بين ظهراني المشركين، وتحملوا الذل والهوان والقهر – وهم قادرون على التخلص مما هم فيه – من كبت وإذلال – بالهجرة إلى بلد يأمنون فيه على دينهم وأموالهم وأنفسهم)(٢).

وحكى الإمام الفخر الرازي قولين في المراد بالذين توفاهم الملائكة أرجحهما هو: (أن المراد: الذين أسلموا في مكة وبقوا هناك، ولم يهاجروا إلى المدينة)(٣).

قال الإمام الطبري(٤): ﴿ **قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ** ﴾ "، يقول: قالت الملائكة لهم: "فيم كنتم"،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير– باب: تفسير سورة النساء ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ٩٧]، (٤/ ١٦٧٨) رقم (٤٣٢٠)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر(٨٨٨–٢، ٨٨٩)، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، الناشر/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (١٩٦–١١).

(٤) ابن جَرير الطَّبَري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ = ٨٣٩ – ٩٢٣ م) هو: (محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءًا، و(جامع البيان في تفسير القرآن – ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءًا، و(اختلاف الفقهاء – ط) و (المسترشد) في علوم الدين، و (جزء في الاعتقاد – ط) و (القراءات) وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدًا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحًا) الأعلام للزركلي (٦/ ٦٩).

في أيِّ شيء كنتم من دينكم قالوا كنا مستضعفين في الأرض"، يعني: قال الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم: "كنا مستضعفين في الأرض"، يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله، واتباع رسوله – صلى الله عليه وسلم –، معذرةٌ ضعيفةٌ وحُجَّة واهية "قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها"، يقول: فتخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله – صلى الله عليه وسلم – إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحِّدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيَّه؟ يقول الله جل ثناؤه: "فأولئك مأواهم جهنم"، أي: فهؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم "مأواهم جهنم"، يقول: مصيرهم في الآخرة جهنم، وهي مسكنهم "وساءت مصيرًا"، يعني: وساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها مصيرًا" ومسكنًا ومأوى)[1].

تعقيب:

ومن خلال ما ذكره السادة المفسرون يظهر أن مكة كانت زمن الهجرة وقبل فتحها موضع استضعاف للمسلمين وأن الآيات سالفة الذكر قد أشارت إليها وإن لم تذكرها تصريحًا.

كما تظهر حكمة الشارع في الأمر بالهجرة من مكة إلى المدينة صونًا لعقيدة المؤمن عن العبث بها وممارسة الضغوط عليه لتركها أو الكفر بها والرجوع إلى عقيدة المشركين الباطلة فكانت الهجرة في هذه الحالة واجبة على كل قادر عليها لم يحبسه العذر.

ويستفاد من هذا في الواقع المعاصر أن الهجرة (واجبة) على كل مسلم مقيم في

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى: ٣١٠هـ، (٩/ ١٠٠١-١٠٠) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الناشر/ مؤسسة الرسالة.

وسط غير إسلامي ولا يأمن على نفسه أن يفتن في دينه أو يفرط في عقيدته.

البراءة من القاعدين عن الهجرة بدون عذر:

لقد كانت الهجرة حدًا فاصلًا بين مرحلتين مفصليتين من مراحل الدعوة الإسلامية، لذا فقد كانت دليلًا على صـــدق العقيدة والحفاظ عليها، أما القاعدون عنها بغير عذر الراضـــون بالفتنة في دينهم فقد تبرء منهم النبي (ﷺ) وذلك فيما جاء في الحديث عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[1]، أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ بَعَثَ سَـرِيَّةً[2] إِلَى خَثْعَمٍ[3]

(١) هو: (جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، ابن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف، الأمير، النبيل، الجميل، أبو عمرو – وقيل: أبو عبد الله – البجلي، القسري، وقسر: من قحطان، من أعيان الصحابة حدث عنه: أنس، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، والشعبي، وهمام بن حارث، وبايع النبي –صلى الله عليه وسلم– على النصح لكل مسلم، ومات سنة أربع وخمسين) انظر: (سير أعلام النبلاء ط الرسالة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (٢/ ٥٣٥-٥٣٠)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) باختصار.

(٢) (السرية: دون الجيش، وهى القطعة تخرج منه تغير وترجع إليه، وسميت بذلك لأنها تسرى بالليل) (إكمال المعلم بفوائد مسلم، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، (٦/ ٣١)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، الناشر/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر).

(٣) خثعم: مأخوذة من (تخثعموا أي: تلطخوا بالدم لحلف عقدوه بينهم، ولا خلاف بين النسابين أن خثعم هي شهران وناهس ابنا عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، وفي أنمار خلاف ولكن هناك من يضيف إليهما أكلب بن ربيعة بن نزار، أي حالفهم، فعلى هذا تكون ثلاث قبائل، وكثرت شهران في صدر الإسلام حتى سميت «شهران العريضة» وانفصلت في التسمية عن خثعم، وكذلك أكلب فيقال اليوم: شهران وأكلب وخثعم)(معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ) (ص: ٢٥)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م).

فَاعْتَصَمَ نَاسٌ بِالسُّجُودِ[١]، فَأَسْرَعَ فِيهِمُ القَتْلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ العَقْلِ[٢] وَقَالَ:

«أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ»[٣]. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا»[٤][٥].

وما ورد في الحديث من وعيد شديد لتاركي الهجرة بغير عذر إنما كان سببه (أنهم أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين الكفرة فكانوا كمن هلك بفعل نفسه وفعل غيره فسقط حصة جنايته)[٦].

هذا ولم يقع خلاف بين العلماء في فرضية اللحوق بالمسلمين في معقل الإيمان

---

(١) قوله: (فاعتصم ناس بالسجود) أي (ناس من المسلمين الساكنين في الكفار سجدوا باعتماد أن جيش الإسلام يتركوننا عن القتل حيث يروننا ساجدين لأن الصلاة علامة الإيمان) (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفورى (١٨٩-٥)).

(٢) (فأمر لهم بنصف العقل) أي (بنصف الدية). المرجع السابق (٥ -١٩٠).

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) (لا تراءى ناراهما) مأخوذ: (من الترائي تفاعل من الرؤية يقال تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضاً تراءى الشيء أي ظهر حتى رأيته، والأصل في تراءى تتراءى فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا). (نفس المرجع والصفحة).

(٥) أخرجه أبو داود في (الجهاد، باب النهى عن قتل من اعتصم بالسجود) رقم: (٢٦٤٥)، والترمذي في (السير، باب كراهة المقام بين أظهر المشركين) رقم: (١٦٠٤) قال ابن حجر: وإسناده صحيح. انظر: (فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الرُّباعي الصنعاني (المتوفى: ١٢٧٦هـ) (٤/ ١٨٣٩)، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفورى (١٩٠-٥).

الجديد – المدينة المنورة – مالم يَحُل عذر دون ذلك يقول الإمام ابن حزم الظاهري[1]: ((وإن كان إنما يقيم هنالك لدنيا يصـــيبها، وهو كالذمي لهم، وهو قادر على اللحاق بجمهرة المســـلمين وأرضـــهم، فما يبعد عن الكفر، وما نرى له عذرًا – ونســـأل الله العافية))[2].

ولم يقتصـــر الأمر على هذا فحســـب فقد جعل النبي(ﷺ) التحول إلى المدينة المنورة آنذاك مكملًا لشروط الإيمان ففي الحديث وهو حديث طويل أكتفى بذكر بعضه.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ[3]، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

---

(١) ابن حَزْم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٤ م) هو: (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزْمية ". ولد بقرطبة.، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهًا حافظًا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدًا عن المصانعة. وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو ٤٠٠ مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤)).

(٢) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى: ٤٥٦هـ، الناشر/ دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ. (١٢/ ١٢٦).

(٣) سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي المروزي قاضي ثقة أخو عبد الله بن بريدة، ولدا في بطن واحد على عهد عمر بن الخطاب، مات سنة خمس ومائة وله تسعون سنة) انظر: (تقريب التهذيب – ت عوامة = التراجم، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (ص: ٢٥٠)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هجرية – ١٩٨٦م.، وكذلك: (المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري (١/ ٢١٣)، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة).

إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ[1] بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: **(اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا[2]، وَلَا تَغْدِرُوا[3]، وَلَا تَمْثُلُوا[4]، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا[5]، وَإِذَا لَقِيتَ[6] عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ[7] – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ[8] فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ**

---

(١) قوله: ("أوصاه في خاصته بتقوى الله"؛ يعني: أوصاه في أمر نفسه، وفي أمر من معه من الجيش، فأما وصيته إياه في أمر نفسه أن يقول له: اتق الله، ووصيته إياه في أمر الجيش أن يأمره بحفظ مصالحهم، وأَمْرِه إياهم بما فيه الخير) (المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، (٤/ ٣٩٤)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من تحقيقين بإشراف: نور الدين طالب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، الناشر/ دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية).

(٢) قوله: ("ولا تَغُلُّوا"؛ أي: ولا تسرقوا شيئًا من الغنيمة). (نفس المرجع والصفحة).

(٣) قوله: ("ولا تغدروا"؛ أي: ولا تحاربوا الكفار قبل أن تدعوهم إلى الإسلام). (نفس المرجع والصفحة).

(٤) قوله: ("ولا تمثَّلوا"؛ أي: ولا تجعلوا المثلة، وهي قطع الأعضاء؛ يعني: مَن قتلتموه فاتركوه ولا تقطعوا أعضاء). (نفس المرجع والصفحة).

(٥) قوله: ("ولا تقتلوا وليدًا"؛ أي: ولا تقتلوا الأطفال بل اسبوهم، وكذلك النساء). (نفس المرجع والصفحة).

(٦) قوله: ("وإذا لقيتَ" هذا خطاب مع أمير الجيش). (نفس المرجع والصفحة).

(٧) قوله: ("إلى ثلاث خصال، أو خلال": هذا شك من الراوي في أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: (ثلاث خصال)، أو (ثلاث خلال)، و(الخصال): جمع الخصلة، و (الخلال): جمع خَلَّةٍ – بفتح الخاء – وهي الخصلة). (نفس المرجع والصفحة).

(٨) قوله: ("فأيتهن ما أجابوك"، (ما) هنا زائدة). (نفس المرجع والصفحة).

عَنْهُم[١]، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإســـلامِ[٢]، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ،...)[٣].

ودار المهاجرين هي: (المدينة، وكان هذا في أول الأمر، في وقت وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإســـلام، أو على أهل مكة خاصـــة ففي ذلك خلاف، والحديث يدل على أن الهجرة كانت واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرها)[٤] وبه قال الملا على القارى[٥] وغيره كثيرون[٦].

---

(١) قوله: ("وكف عنهم"؛ يعني: فإذا فعلوا شيئًا من هذه الخصال اتركهم ولا تقتلهم) (نفس المرجع والصفحة).

(٢) قوله: ("ادعُهم إلى الإسلام" هذا هو الخصلةُ الأولى، "ثم ادعُهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين"؛ يعني: فلمَّا أسلموا فمُرْهم بالانتقال من دار الكفار إلى دار المسلمين) (نفس المرجع والصفحة).

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كتاب الجهاد – باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٣٥٧-٣)، رقم: (١٧٣١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ ت ٦٥٦ هـ، (٥٠-١١) بدون طبعة أو تاريخ.

(٥) المُلَّا علي القاري(١٠١٤ هـ = ١٦٠٦ م): علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفًا وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبًا كثيرة، منها " تفسير القرآن – خ " ثلاثة مجلدات، و " الأثمار الجنية في أسماء الحنفية " و " الفصول المهمة – خ " فقه، و " بداية السالك – خ " مناسك، و " شرح مشكاة المصابيح – ط " و " شرح مشكلات الموطأ – خ " و " شرح الشفاء – ط " توفي (١٠١٤ هـ = ١٦٠٦ م) انظر: (الأعلام للزركلي (٥/ ١٢).

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، الناشر/ دار الفكر، بيروت – لبنان.

تعقيب:

وبناءً على ما سبق فإن الأحاديث تشير إلى أن مكة كانت موضع استضعاف للمسلمين والأمر بالهجرة من مكة إلى المدينة لم يُستثنَ منه أحد إلا أصحاب الإعذار، حيث ذكر جماعة من المسلمين أقاموا بين المشركين فكان هذا سببًا في براءة النبي – صلى الله عليه وسلم – منهم، لمكثهم في معقل الكفر آنذاك – مكة –، وتكثيرهم سواد المشركين، وتعريض عقيدتهم للضغوط من قبل المشركين المناوئين للدعوة وتركهم الهجرة إلى معقل الإيمان – المدينة–، كما جعل النبي (ﷺ) التحول إلى المدينة المنورة آنذاك شرطًا من شروط الإيمان إذ ذكره عقب الدعوة إلى الإسلام مباشرة، وفيه إشارة إلى أنه كان الإيمان لا يصير مكتملًا آنذاك إلا بالهجرة والتحول إلى معقل الإيمان الجديد.

ونتعلم من هذا الدرس النبوي العظيم أن المسلم دائمًا لا يرضى بالعيش الذليل المُهين تحت إمرة الأعداء ولوكان آمنًا على نفسه وماله وأهله في ظل هذا العيش، وألا يرضى لنفسه إلا العيش الكريم الذي يستطيع من خلاله أن يحافظ على عقيدته وعزته وكرامته.

قطع الولاية بين المؤمنين المهاجرين وذويهم من الكفار:

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى قطع الولاية بين المؤمنين المستجيبين لدعوة الله – تعالى – ودعوة نبيه (ﷺ) بالهجرة وبين الكفار المناوئين للدعوة ولو كانوا في أشد درجات القرابة بالنسبة إليهم آباءً أو إخوانًا ممن لم يسلموا قال – تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُون * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الفاسقين[1].

فها هو الحق – سبحانه وتعالى – يأمر (بعدم اتخاذ الآباء والإخوان بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسرارَكم، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله، وتؤثرون المُكْثَ بين أظهرهم على الهجرة (إن استحبُّوا الكفر على الإيمان)، يقول: إن اختاروا الكفر بالله، على التصديق به والإقرار بتوحيده (ومن يتولهم منكم)، يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين، ويؤثر المقَام معهم على الهجرة إلى رسول الله والمدينة المنورة (فأولئك هم الظالمون)، يقول: فالذين يفعلون ذلك منكم، هم الذين خالفوا أمرَ الله، فوضعوا الولاية في غير موضعها، وعصوا الله في أمره))[2].

هذا ومن ينظر إلى الواقع الذي كان آنذاك يعلم أنه (قد اقتضت حكمة إقامة الدين ومصلحة المسلمين حين نزول القرآن أن تكون هناك قطيعة تامة بين المؤمنين وأقاربهم الكافرين، حتى يبقى الدين سليمًا، فلا يتجزأ الانتماء وتتوزع العواطف، ولأن رابطة الدين أسمى وأولى وأقوى من رابطة القرابة أو العصبية أو القبلية أو الأسرية. والمراد بالإخوان في الآيتين إخوان النسب وبدئت الآية بخطاب المصدقين المؤمنين بالله ورسوله، ومفادها: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء تنصرونهم في القضايا العامة، وتكونون تبعًا لهم في سكنى بلاد الكفرة، وتطلعونهم على أسرار المؤمنين في السلم والحرب، إن اختاروا الكفر على الإيمان، وآثروا الشرك على الإسلام، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم وأمتهم، لأنهم خالفوا الله ورسوله، بموالاة الكافرين بدلًا من التبرؤ منهم)[3].

فهذا الحكم العادل من الحق – سبحانه وتعالى – هو الجزاء الرادع لكل من تسول

---

(١) سورة التوبة: الآيتان: ٢٣ – ٢٤.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٤/ ١٧٥ –١٧٦).

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي (١/٨٤٥)، الناشر: دار الفكر – دمشق – الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

له نفسه المولاة على اعتبارات غير العقيدة لأي سبب كان ماديًا أو اجتماعيًا على حساب الدين والعقيدة (ثم توعد الله من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله، وترك الهجرة والجهاد، مفضلًا الجهاد على ثمانية أشياء. والمعنى: إن كنتم تؤثرون هذه الأشياء الثمانية، وتفضلون الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة (القرابة الاجتماعية القريبة) والأموال، والتجارة، والمساكن، تؤثرونها على حب الله ورسوله، أي على طاعتهما، والجهاد في سبيل الله الذي يحقق السعادة الأبدية في الآخرة، فانتظروا حتى يأتي الله بعقابه العاجل أو الآجل)[1].

تعقيب:

هذا ومن ينظر إلى تلك الولاية التي قطعها الإسلام بين المسلمين المهاجرين وذويهم من الكفار يعلم صحة عقيدة هؤلاء المهاجرين وقوة إيمانهم واستعدادهم لبذل أغلى ما يملكون في سبيل تلبية الدعوة والحفاظ على العقيدة الصحيحة الصافية حتى لو كان ذلك على حساب تفريقهم عن أهلهم وذويهم وتركهم الديار والأموال والأهل والمساكن مما يدلل على أن هؤلاء المهاجرين بلغوا مبلغًا عظيمًا من صحة الإيمان.

هذا ويعلمنا هذا الجيل العظيم من حملة دعوة الإسلام كيف تكون التضحية في سبيل العقيدة وأن المسلم إذا تعارضت عنده مصلحة العقيدة مع أي أمر آخر فليس له الخيرة في أن يوازن بينهما، فالعقيدة لا تقابل المقارنة بشيء آخر أيّا ما كان، لذا فقد استحق هؤلاء الدعاة الأوائل أن يصبحوا مثلًا يُحتذى به لجميع من سيأتي بعدهم من أبناء الأمة الإسلامية.

* * *

(١) المرجع السابق (٨٤٦/١).

المبحث الثاني: الاستثناء من فرضية الهجرة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر

من خلال ما سبق عرضه في المبحث الأول من آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة وعرض لأقوال ساداتنا العلماء في تفسير تلك الآيات وشرح الأحاديث تبين لنا بما لا يدع مجالًا للشك أن المسلمين قد عاشوا في مكة وقبل الهجرة إلى المدينة المنورة مرحلة من الاستضعاف والإيذاء لا يتحملها بشر وقد جاء الأمر من المولى – عز وجل – بالهجرة إلى المدينة المنورة لأسباب عدة منها التخفيف عن المسلمين هذه الوطأة من العقاب غير المبرر من قبل المشركين لا لشيء إلا لاعتناقهم الإسلام، فقد كانت الهجرة النبوية المباركة هي السبيل الوحيد للنجاة من هذا الظلم الباطش، ومع صدور هذا الأمر الإلهي بالهجرة إلا أن هناك فئات من الناس تم استثناؤهم من الأمر بالهجرة لأسباب معينة وفيما يلي بيان ذلك:

المستضعفون:

لقد كانت الهجرة مفروضة على كل من أطاقها حفاظًا على العقيدة وصونًا لها عن العبث بها إلا أنه وُجد فريق من المسلمين مستضعفين حبسهم العذر عن الهجرة فهؤلاء بطبيعة الحال مستثنون من العقاب الوارد في الآيات والأحاديث التي تتحدث عن القاعدين عن الهجرة، والمستضعفون الذين أتحدث عنهم هم الذين عناهم المولى– سبحانه وتعالى – بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[1].

فالمستضعفون المعنيون بالاستثناء(هم صنف من الناس حبسهم العذر فالهجرة

(١) سورة النساء: آية (٩٩–٩٨).

غير واجبة عليهم حتى يقدروا عليها)[١].

وقد ذكر الإمام الطبري: (أن المستضعفين هم: الذين استضعفهم المشركون "من الرجال والنساء والولدان"، وهم العجزة عن الهجرة بالعُسْرة، وقلّة الحيلة، وسوء البصر والمعرفة بالطريق، من أرضهم أرضِ الشرك إلى أرض الإسلام، من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم: أن تكون جهنم مأواهم، للعذر الذي هم فيه، على ما بينه تعالى ذكره)[٢].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر[٣]: (أن العاجز يُعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر)[٤].

أما قوله سبحانه: (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم)، فيقول فضيلة الشيخ/ محمد

---

(١) انظر: المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) (٣- ٢٦٥)، الناشر: دار الكتب العلمية، بتصرف.

(٢) (جامع البيان في تأويل القرآن ٩-١٠١).

(٣) ابن حَجَر العَسْقَلَاني: (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م)أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - ط) أربعة مجلدات، و (لسان الميزان - ط) ستة أجزاء، تراجم، و (الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام - خ) الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨).

(٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري المتوفى: ١٤١٤هـ(٩/ ٤٦١)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

رشيد رضا[1]: (والإشارة بأولئك إلى من استثناهم ممن توعدهم على ترك الهجرة، أي: إن أولئك المستضعفين الذين لم يهاجروا للعجز وتقطع الأسباب والحيل وتعمية السبل يرجى أن يعفو الله عنهم ولا يؤاخذهم بالإقامة في أرض الشرك، والوعد بـــ عسى الدالة على الرجاء، أطمعهم تعالى بالعفو، ولم يجزم به للإيذان بأن أمر الهجرة مضـــيق فيه، وأنه لا بد منه، ولو باستعمال دقائق الحيل، والبحث عن مضايق السبل، حتى لا يخدع محب وطنه بنفسه ويعد ما ليس بمانع مانعًا)[2].

ولقد وصلت سماحة الشرع الحنيف إلى حد بعيد في التماس العذر للمستضعفين في مكة ممن لم يهاجروا (فاقتضـــت رحمة الله وفضـــله أن يفتح باب التوبة لبعض المؤمنين الذين جاملوا الكفار المشركين في مكة، ووافقوهم على مرادهم، وإظهار الكفر، والاعتصـــام بالإيمان في حقيقة الأمر وباطن القلب، وهؤلاء كانوا مســـتضـــعفين بمكة، وشأن الضعيف المعذب عادة المجاملة في القول، والإقرار بما يرضي الظلمة، غير أن المعوّل على ما في القلب من إيمان ورضا واطمئنان، قال الله تعالى مبينًا فضله على هذه الفئة: ﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن

(١) محمَّد رَشِيد رِضا (١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ – ١٩٣٥ م) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي). (الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم – تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني المتوفى: ١٣٥٤هـ، (٥/ ٢٩٢) طبعة ١٩٩٠ م، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾[1])[2].

وكذلك استثنى الشرع من فرضية الهجرة كل (من أسلم ولا عشيرة له تمنع منه، ولا يقدر على الهجرة لعجزه عن المشـــي، ولا له مال يمكنه أن يكتري منه ما يحمله.. فهذا لا تجب عليه الهجرة، بل يجوز له المقام مع الكفار)[3].

تعقيب:

وبناء على ما سبق فهذا الصنف من المسلمين – المستضعفون – قد كان مستثنى من فرضـــية الهجرة إلى المدينة بنص القرآن الكريم، وإن كانت الهجرة خيرًا له بطبيعة الحال إن قام بها وآثر ما عند الله على العيش المذل وسـط هذا المجتمع المشـرك الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

ويستفاد من هذا التوجيه الإلهي أن الله سبحانه لطيف بعباده وأنه لم يفرض عليهم أمرًا لا يطيقونه، ومن الممكن أن نقول: إن من يعيش في بلد يضـــطهد فيه المســـلمون وهو لا يقوى على ترك هذا المكان لقلة زاد أو عذر بدني أو مادي أو ما شـابه فإن الله – تعالى – عذره لعدم الاستطاعة، وإن كان عليه أن يحتال بكل الحيل لترك هذا المكان الذي يضـــطهد فيه المســـلمون ليفر بدينه من الفتن المحدقة به ولو لقي حتفه وهو في طريقه إلى الخروج من هذا المكان الظالم أهله المضـــطهد للإســـلام وأهله فســـيلقى ربه على حاله ومعذرته معه وذلك أنه لبى نداء الله ورسوله وفرّ بدينه من الفتن.

القعود عن الهجرة عند أمن العقيدة:

هذا ومع ما سبق ذكره مما ورد من تشديد في القرآن والسنة على أمر الهجرة وما

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠٦).

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٣٠٧).

(٣) البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي المتوفى: ٥٥٨هـ، (ج١٢– ص٩٧)، المحقق: قاسم محمد النوري، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ– ٢٠٠٠ م، الناشر: دار المنهاج – جدة.

جاء من ذم للقاعدين عنها بعد إسلامهم إلا أن فريقًا من العلماء قيّد الوجوب والفرضية التي ذكرت في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية بعدم استطاعة ممارسة شعائر الإسلام والخوف من الفتنة في الدين والعقيدة أما إذا أمن المرء على دينه وعقيدته بأن كانت له قوة تحمية ومَنَعة في قومه مثلًا فالهجرة في حقه ليست مفروضة وإن كانت هي الطريق الأمثل إلى الله – تعالى – وقتئذ فقد أقر النبي – صلى الله عليه وسلم– نعيم النحام[1] بمكة وهى معقل الكفر آنذاك، وذلك فيما روي ((أن نعيم النحام حين أراد أن يهاجر جاءه قومه بنو عدي[2] فقالوا له أقم عندنا وأنت على دينك ونحن نمنعك ممن

(١) هو: (نعيم بن عبد الله)، نعيم، بضم النون تصغير النعم ابن عبد الله النحام، بفتح النون وتشديد الحاء المهملة: العدوي القرشي، ووصف بالنحام لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (دخلت الجنة فسمعت نحمة نعيم فيها). والنحمة: السعلة، أسلم قديما وأقام بمكة إلى قبيل الفتح، وكان يمنعه قومه من الهجرة لشرفه فيهم، لأنه كان ينفق عليهم، فقالوا: أقم عندنا على أي دين شئت، ولما قدم المدينة اعتنقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبله، واستشهد يوم اليرموك سنة خمس عشرة، وقيل: استشهد يوم أجنادين في خلافة أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، سنة ثلاث عشرة، ويبدوا مما ذكرناه أن النحام صفة لنعيم،) انظر: (عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني المتوفى: ٨٥٥هـ، (١١/ ٢٦١) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت).

(٢) بنو عدي هم: (بنو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، حي من بني مزينة، النسب إليه عداوي، وبنو عدي رجالها الأجلاء وأبطالها المشاهير. ومن بني عدي الشاعر ذو الرمة، وهو غيلان بن عقبة وناهيك بسيف بن شيخان العدوي، الذي ارتفع صوته في دولة الإمام عزان بن قيس –رحمه الله–، وكان سيف بن شيخان من الرجال البارزين فيهم، ومنازل بني عدي معروفة، وليست الرجال بالكثرة، وإنما هي بالأفعال الفاضلة، والأعمال الكاملة. و بنو عدي هؤلاء ينتسبون إلى عدي بن ربيعة الذي هو المهلهل بن كليب) انظر: (جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) (١/ ٤٦٤) تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣) باختصار.

يريد أذاك واكفنا ما كنت تكفينا وكان يقوم بيتامى بني عدي وأراملهم فتخلف عن الهجرة مدة ثم هاجر بعد وقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (قومك كانوا خيرًا لك من قومي لي: قومي أخرجوني وأرادوا قتلي وقومك حفظوك ومنعوك) فقال: يا رسول الله قومك أخرجوك إلى طاعة الله وجهاد عدوه وقومي ثبطوني عن الهجرة وطاعة الله أو نحو هذا القول))[1].

وفي هذا الصدد يقول الإمام النووي[2]: (وإن قدر على إظهار الدين ولم يخف الفتنة في الدين لم تجب عليه الهجرة، لأنه لما أوجب على المستضعفين دل على أنه لا تجب على غيرهم، ويستحب له أن يهاجر لأنه إذا أقام في دار الشرك كثر سوادهم، ولأنه لا يُؤمن أن يميل إليهم، ولأنه ربما ملك الدار فاسترق ولده)[3].

والمستضعفون الذين عناهم الإمام النووي هم الوارد ذكرهم في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[4].

(١) الشرح الكبير على متن المقنع (١٠/ ٣٨٢).

(٢) النَّوَوِي (٦٣١ – ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٧٧ م): (يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا طويلًا. من كتبه " تهذيب الأسماء واللغات – ط " و " منهاج الطالبين – ط " و " الدقائق – ط " و " تصحيح التنبيه – ط " في فقه الشافعية رأيت مخطوطة قديمة منه باسم " التنبيه على ما في التنبيه "، و " المنهاج في شرح صحيح مسلم – ط " خمس مجلدات، وغيره كثير). الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٩).

(٣) المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٦٢).

(٤) سور النساء: الآية ٩٧.

وذكر الإمام الماوردي[1] أنه يكره له البقاء في هذا الوَسَـط المشـرك حتى لو كان في مَنَعة من قومه أو آمنًا على دينه وعقيدته فقال – رحمه الله –: (وإن أمن الافتتان في دينه سقط فرض الهجرة عنه، لاختصاص وجوبها نصًا بالمستضعفين وكان مقامه بينهم مكروهًا، لأن المقام على مشاهدة المنكرات منكر، والإقرار على الباطل معصية، لأنها تبعث على الرضا، وتفضي إلى الولاء)[2].

وقد دلت الآية سالفة الذكر على أن العذاب واقع على المستطيعين للهجرة، الذين وقعت عليهم الفتنة في دينهم وقبلوا العيش الذليل في هذا الوسط المشرك الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، أما إذا أمنت الفتنة في الدين فالوعيد المذكور لا يخصهم بطبيعة الحال.

أما الحديث السابق ذكره وهو قول النبي ـــ ﷺ ـــ«أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْـرِكِينَ»..، فكما قال الحافظ ابن حجر: (وهذا محمول على من لم يأمن على

(١) المَاوَرْدي (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ – ١٠٥٨ م) علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جُعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله الكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللاً أو يزيل خلافًا. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه " أدب الدنيا والدين – ط " و " الأحكام السلطانية – ط " والنكت والعيون – خ " ثلاث مجلدات كما في تذكرة النوادر ٢٢، في تفسر القرآن، و " الحاوي – خ " في فقه الشافعية، نيف وعشرون جزءا، و " نصيحة الملوك – خ وغير ذلك). الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢٧).

(٢) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) (١٤/ ٢٦٩)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م.

دينه)[١].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر كذلك: ((أن القادر على الهجرة لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة (يعنى الهجرة في حقه مستحبة) لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم))[٢].

وقد استنبط الإمام النووى هذا الحكم من الحديث الذى سبق ذكره عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا... ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ...))[٣].

فقال -رحمه الله تعالى-: (معنى هذا الحديث أنهم إذا أسلموا استحب لهم أن يهاجروا إلى المدينة فإن فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم)[٤].

وقد حمل الإمام النووي الأمر على الاستحباب في الحديث حال أمن العقيدة واستطاعة إقامة واجبات الدين بطبيعة الحال، أما إذا خاف الفتنة في دينه فلا خلاف بين العلماء في وجوب الهجرة عليه.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (٦/ ٣٩) الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها (١٥/ ٦٤)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(٣) سبق شرحه، وتخريجه في المبحث الأول تحت عنوان: (البراءة من القاعدين عن الهجرة بدون عذر).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٣٨) بتصرف يسير.

وهو ما ذكره الإمام ابن قدامه[١] **فقال – رحمه الله –**: (وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه، وتستحب لمن قدر عليه)[٢].

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى–: ((ودلت سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن فرض الهجرة على من أطاقها، إنما هو على من فتن عن دينه بالبلد الذي يسلم بها؛ لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أذن لقوم بمكة أن يقيموا بها بعد إسلامهم – فيهم – العباس بن عبد المطلب[٣] وغيره؛ إذا لم يخافوا الفتنة، وكان يأمر جيوشه أن يقولوا لمن أسلم: إن هاجرتم فلكم ما للمهاجرين، وإن أقمتم فأنتم كأعراب – المسلمين –. وليس يخيرهم إلا فيما يحل لهم)" الحديث[٤].

---

(١) ابن قُدَامَة ((٥٩٧ – ٦٨٢ هـ = ١٢٠٠ – ١٢٨٣ م) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفي في دمشق. وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها، استمر فيه نحو ١٢ عامًا ولم يتناول عليه (معلومًا) ثم عزل نفسه. له تصانيف، منها (الشافي – ط) وهو الشرح الكبير للمقنع، في فقه الحنابلة)الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٩).

(٢) الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، ابن قدامة المقدسي (١٠/ ٣٥)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية.

(٣) هو: (العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف عم النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو الفضل، مات بالمدينة سنة أربع وثلاثين ويقال سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهما وقال عمرو بن علي مات العباس سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان وهو ابن ثمان وثمانين سنة) رجال مسلم (٢/ ٦٠)).

(٤) تفسير الإمام الشافعي، الإمام / أبو عبد الله محمد بن إدريس الْمُطَّلَبِي، (٢/ ٦٤٨)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (رسالة دكتوراه)، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية.

تعقيب:

لقد كان من أسباب الهجرة توجيه صنوف الإيذاء المختلفة النفسية والبدنية إلى النبي (ﷺ) وصحابته الكرام، ومع أن هذا الإيذاء بشتى صوره لم يزد المسلمين إلا إيمانًا فوق إيمان وعزيمة فوق عزيمة، وكل يوم يدخل خلق جدد في دين الله – عز وجل–، إلا أن الحق سبحانه أراد بتشريع الهجرة أن يحفظ للمسلمين عقيدتهم صافية دون تعريضها للضغوط من كفار قريش المتربصين بالمسلمين ليلًا ونهارًا، ولما كان الأمر كذلك لم تكن هناك مخالفة عظيمة بترك الهجرة عند أمن الفتنة في الدين والعقيدة كما رخص النبي (ﷺ) في تركها لعمه العباس بن عبدالمطلب ونعيم النحام الذي كان في منعة من قومه كما سبق ذكره.

ومن الممكن أن نستفيد من هذا الأمر في واقعنا المعاصر أن المسلم الذي يعيش في وسط غير إسلامي ولكنه يأمن على نفسه وعقيدته ويستطيع إقامة شعائر دينه بحرية لا تجب عليه الهجرة من هذا الوسط الغير إسلامي ما دام لم يتعرض لضغوط لفتنه عن دينه وعقيدته.

«لا هجرة بعد الفتح»:

لقد ذكر ساداتنا العلماء أن الهجرة من مكة إلى المدينة إنما كانت مفروضة في بداية الأمر وقد سقطت فرضيتها بعد انتشار الدعوة وصيرورة الإسلام قوة ذات سيادة لا يستهان بها، ولها القدرة على تأمين حرية العقيدة والدعوة، وقد استدلوا على ذلك بأدلة

منها ما روى عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ(١)، قَالَ: زُرْتُ عَائِشَةَ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ(٢)، فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الهِجْرَةِ فَقَالَتْ: «لاَ هِجْرَةَ اليَوْمَ(٣)، كَانَ المُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ

(١) هو: (عطاء بن أبي رباح مفتي أهل مكة ومحدثهم القدوة العلم أبو محمد بن أسلم القرشي مولاهم المكي الأسود: ولد في خلافة عثمان وقيل في خلافة عمر. نشأ بمكة. وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خثيم الفهري. قالوا وكان ثقةً فقيهًا عالمًا كثير الحديث. سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأم سلمة وطائفة وروى عنه: أيوب وحسين المعلم وابن جريج وابن إسحاق والأوزاعي وأبو حنيفة وهمام بن يحيى وجرير بن حازم وخلق كثير كان أسود فصيحًا كثير العلم. قال أبو حنيفة: ما رأيت أحدًا أفضل من عطاء، تحول في آخر عمره إلى ثغر الإسكندرية مرابطًا فتوفى وعلى الأصح أنه مات في رمضان سنة أربع عشرة ومائة). انظر: (الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) (٦/ ٢٠ –٢٢) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) باختصار.

(٢) هو: (عبيد بْن عُمَيْر بْن قَتَادَة بْن عَبْد اللَّه بْن يعمر بْن عَوْف بْن كَعْب بْن عَامر بْن لَيْث اللَّيْثِيّ من كنَانَة من أفاضل أهل مَكَّة كُنْيَتُهُ أَبُو عَاصِم وَكَانَ قَاضِيا لابْن الزُّبَيْر يرْوى عَن بن عمر وأَبِي ذَر روى عَنهُ النَّاس مَاتَ قبل بن عمر سنة ثَمَان وَسِتِّينَ يُقَارب مَوته موت بن عَبَّاس). (الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) (٥/ ١٣٢)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م).

(٣) لا هجرة اليوم، أي: (بعد الفتح) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري(٢٢/ ١٩٥).

أَظْهَرَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ[١]، وَاليَوْمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ[٢] وَنِيَّةٌ[٣]»[٤].

قال الحافظ ابن حجر: (وحديث عائشة يشير إلى بيان مشروعيه الهجرة وأن سببها خوف الفتنة والحكم يدور مع علته فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت)[٥].

وقال الإمام السندي: (كَانَت فرضًا فِي أول الْأَمر ثمَّ صَارَت مَنْدُوبَة)[٦].

ومما يفيد هذا المعنى، ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّ شَأْنَ الهِجْرَةِ شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا»[٧] قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ البِحَارِ[٨]، فَإِنَّ اللَّهَ

---

(١) قوله: وأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، لأن مكة صارت بعد الفتح دار إيمان ودخل الناس في الإسلام في جميع القبائل، فارتفعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب. (نفس المرجع والصفحة).

(٢) قوله: (ولكن جهاد) أي: ولكن جهاد هو هجرة. (نفس المرجع والصفحة).

(٣) قوله: (ونية) أي: ثواب النية في الهجرة، أو في الجهاد). المرجع السابق (١٧/ ٣٧).

(٤) صحيح البخاري كتاب: مناقب الأنصار – باب: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٥٧).

(٥) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ) (٢٠/ ٢٩٤)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

(٦) حاشية السندي على سنن النسائي (٧/ ١٤٣).

(٧) (قوله (فَهَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا) أي: ((زكاتها، ولم يسأل عن غيرها من الأعمال الواجبة عليه لأن حرص النفوس على المال أشد من حرصها على الأعمال البدنية)) (عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٢٢/ ١٩٥).

(٨) قال ابن الأثير: (يقال للبلاد البحار والمعني: فاعمل من وراء القرى) (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي =

لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا»[1].

فها هو النبي(ﷺ) يقرر(أن القيام بحق الهجرة شديد وأن على المرء أن يعمل الخير حيث كان لأن المرء إذا أدى ما فرض الله عليه فلا عليه أن يبالي بإقامته أيًا ما كانت قريبًا من المدينة أم بعيدًا عنها فإن الله لن يضيع أجر عمله)[2].

فقد دل الحديث على عدم وجوب الهجرة إذا تمكن المرء من طاعة ربه في أي مكان، ولا يشترط لقبول الطاعة الهجرة إلى الوطن الإسلامي أو غيره فما دام المرء متمكنًا من عبادة ربه في مكانه الذى يعيش فيه فلا يضره البعد أو القرب من الوطن الإسلامي، وقد كان هذا الأمر بطبيعة الحال بعد تأسيس الدولة في المدينة المنورة وذيوع الإسلام وانتشاره.

وقد صرح الإمام الخطابي[3] بأن السبب في فرض الهجرة في بداية عهد الدعوة الإسلامية هو قلة المسلمين فقال: (إن الهجرة كانت فرضًا في أول الإسلام على من أسلم

المتوفى ٨٩٣ هـ، (٩/ ٥٠٦)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان).

(١) (صحيح البخاري - البغا كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك (٥/ ٢٢٨٢) رقم (٥٨١٣)، ومسلم (١٨٦٥) كتاب: الإمارة:، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام، وأبو داود (٢٤٧٧) في كتاب: الجهاد، باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو، والنسائي(٧/١٤٤-١٤٣)كتاب البيعة: باب شأن الهجرة، من طرق عن الوليد بن مسلم، بهذا الإسناد، صحيح ابن حبان - محققا كتاب، باب فضل الزكاة (٨/ ٤١).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ١٩٥).

(٣) الإمام الخطابي هو: (أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي الشافعي صاحب التصانيف النافعة الجامعة منها: معالم السنن، وغريب الحديث، وإصلاح غلط المحدثين، وغيرها روى عن جماعة من الأكابر وروى عنه الحاكم وغيره توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة) (شذرات الذهب - لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي المتوفى: ١٠٨٩هـ، (٣/ ١٢٨) دار النشر: دار الكتب العلمية).

لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقى فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو)[1].

تعقيب:

والذى يظهر من خلال العرض السابق أن الدعوة الإسلامية في مهدها قد مرت بمراحل مختلفة، وحينما قويت شوكة المسلمين وكثر سوادهم وأصبحت لهم المنعة والقوة وزالت الأسباب التي أوجبت الهجرة على المسلمين الأوائل أو معظمها لم يعد للأمر بالوجوب مبرراته التي ذكرتها في معرض الحديث عن الهجرة الواجبة ولكن في الوقت ذاته الهجرة مرغوب فيها أيضًا وإن لم تكن واجبة لتكثير سواد المسلمين أكثر وأكثر والقرب من النبي –صلى الله عليه وسلم– وتعلّم أحكام الدين و إعداد جيل الدعوة العالمية الذى سيصدع بدعوته في ربوع الدنيا وغير ذلك من الأمور التي جعلت الهجرة أفضل من البقاء بين ظهراني الكفار حتى بعد ثبوت الأمن للمسلمين وقوة شوكتهم.

* * *

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٠/ ٢٩٤).

المبحث الثالث: نماذج من التضحيات وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر

لقد امتحن المسلمون الأوائل بالهجرة فحققوا أعلى الدرجات في هذا الامتحان الصعب الذي بلغت فيه التضحيات مبلغًا عظيمًا فقد كان يفاضل فيه المرء بين أمرين لا ثالث لهما وهما إما أن يترك كل ما يملك ويقدم على مستقبل مجهول وطريق محفوف بالمخاطر بشتى أشكالها وتسلم له عقيدته، وإما أن ينعم بأهله وماله ويعيش في مأمن من تلك المخاطر ولكنه في مقابل ذلك يترك عقيدته في مهب الريح، فاختار هؤلاء الأماجد سلامة عقيدتهم ونشر دعوتهم الحقة على الضياع والأموال والنساء فنجحوا في هذا الامتحان الصعب أيَّما نجاح، واستحقوا الثناء من الخالق – عز وجل – جزاء ما صنعوا.

قال تعالى–: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[1].

هذا ومن يتأمل الآية الكريمة يظهر له (أن الله – تعالى– قسم المؤمنين في زمان الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى أربعة أقسام، وذكر حكم كل واحد منهم، وتقرير هذه القسمة أنه – عليه الصلاة والسلام – ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك إلى الدين، ثم انتقل من مكة إلى المدينة، فحين هاجر من مكة إلى المدينة صار المؤمنون على قسمين منهم من وافقه في تلك الهجرة، ومنهم من لم يوافقه فيها بل بقي هناك.

أما القسم الأول: فهم المهاجرون الأولون، وقد وصفهم بقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**

(١) سورة الأنفال: الآيتان ٧٢، ٧٣.

وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، وإنما قلنا إن المراد منهم المهاجرون الأولون لأنه تعالى قال في آخر الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا**﴾[2] وإذا ثبت هذا ظهر أن هؤلاء موصوفون بهذه الصفات الأربعة:

أولها: أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقبلوا جميع التكاليف التي بلغها محمد – صلى الله عليه وسلم – ولم يتمردوا، فقوله: إن الذين يفيد هذا المعنى.

والصفة الثانية: قوله: (وهاجروا) يعني: فارقوا الأوطان، وتركوا الأقارب والجيران في طلب مرضاة الله، ومعلوم أن هذه الحالة حالة شديدة، قال –تعالى–: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ** ﴾ [3]، جعل مفارقة الأوطان معادلة لقتل النفس، فهؤلاء في المرتبة الأولى تركوا الأديان القديمة لطلب مرضاة الله تعالى، وفي المرتبة الثانية تركوا الأقارب والخلان والأوطان والجيران لمرضاة الله تعالى.

والصفة الثالثة: قوله: ﴿ **وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[4] أما المجاهدة بالمال فلأنهم لما فارقوا الأوطان فقد ضاعت دورهم ومساكنهم وضياعهم ومزارعهم، وبقيت في أيدي الأعداء، وأيضًا فقد احتاجوا إلى الإنفاق الكثير بسبب تلك العزيمة، وأيضًا كانوا ينفقون أموالهم على تلك الغزوات)[5].

وهذا – بطبيعة الحال – هو شأن المؤمن الحق الذى يلبى نداء الإسلام في أي مكان ويهاجر تاركًا وطنه، وممتلكاته وراء ظهره من أجل إعلاء شأن الإسلام، ودعوته

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٦.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٥١٥– ٥١٦)

ولا شك أن هذه إنما هي عملية مرحلية ينتقل فيها المسلم من المكان الذي يستضعف فيه وتجرى محاولات فتنه عن دينه ظلمًا وعدوانًا إلى المكان الذي يستطيع فيه إقامة شعائره وينضم إلى إخوانه المسلمين لتكثير سوادهم، وإعانتهم على نشر الدعوة عن طريق اللسان أو السنان إن تطلب الأمر.

هذا وقد تنوعت أشكال التضحية لدى المهاجرين الأوائل بين تضحية بالنفس أو بالمال أو بالزوج والولد وفيما يلي بيان ذلك:

التضحية بالنفس:

إنَّ من ينظر إلى بطولات الهجرة؛ يجد أول ما يجد بطولة الفدائي الشاب سيدنا علي بن أبي طالب(ﷺ) الذي كان في مقتبل العمر وتخلف بعد النبي (ﷺ) لتنفيذ أمره برد الأمانات إلى أهلها[1] و نام في الموضع الذي تحفه المخاطر وصاحبه (ﷺ) مطلوب من شباب لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، مجمعون على باطلهم وغيّهم، مصرّون على قتل النبي (ﷺ) لا يردهم عن هذه الغاية شيء وسيدنا علي (ﷺ) يعلم كل هذا ولا يرده عن فداء النبي (ﷺ) بنفسه التي بين جنبيه والتي هي أغلى ما يملك الإنسان شيء.

والمرء يحار أيعجب من بذل وتضحية هذا الفدائي الشاب اليافع أم يعجب من بذل وتضحية الفدائي الكبير سيدنا أبي بكر الصديق وأيعجب من سير هذا الفدائي الكبير خلف النبي (ﷺ) تارة وأمامه تارة [2] خوفًا على حضرته (ﷺ) وحماية له وصيانة من

---

(١) راجع: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) (١/ ٤٨٥)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٨٦).

أي خطر يحيق به، أم من دخوله الغار قبله ليذب عنه الأذى بنفسه غير عابئ بشيء يؤذيه.

فقد ذكر ابن هشام: (أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– انتهى وأبو بكر إلى الغار ليلًا، فدخل أبو بكر– رضي الله عنه – قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، يقي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بنفسه)[1]. فأيّ فداء هذا وأيّ تضحية هذه؟.

التضحية بالمال:

لقد وصل الأمر بكفار مكة إلى مصادرة أموال كل من يعلمون عنه أنه ينتوي الهجرة أو يكون قد هاجر بالفعل مع محاولة فتنه عن دينه وإيقاف لحوقه بالوطن الإسلامي الجديد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

ولقد ظهرت تضحيات المهاجرين جليةً واضحةً لذي عينين وقدمت النموذج العملي للمؤمن الحقيقي في العطاء والتفاني فها هو سيدنا صهيب الرومي[2] يقول: (خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة وخرج معه أبو بكر – رضي الله عنه –، وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكيًا، فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما

(١) سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٤٨٦).

(٢)هو: (صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة، وكان أبوه سنان بن مالك أو عمه عاملاً لكسرى على الأبلة (البصرة). وكانت منازلهم بأرض الموصل حين بلغ وعقل هرب من الروم فقدم مكة فحالف عبد الله ابن جدعان وأقام معه إلى أن هلك، وكانت إقامته بمكة إلى أن ظهر الإسلام فاعتنقه ولما توفي عمر نظر المسلمون فإذا صهيب يصلي بهم المكتوبات بأمر عمر فقدموا صهيبًا فصلى على عمر توفي ٣٨ هـ) الطبقات الكبرى ط العلمية (٣/ ١٦٩)

ســـرت بريـدًا[١] ليردوني، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي[٢] من ذهب وتخلون سـبيلي، وتفون لي فتبعتهم إلى مكة؟ فقلت لهم: احفروا تحت أسـكفة[٣] الباب فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين، وخرجت حتى قدمت على رسـول الله – صـلى الله عليه وسـلم – قبل أن يتحول منها – يعني قباء[٤] –، فلما رآني قال: " يا أبا يحيى، ربح البيع " ثلاثًا، فقلت: يا رســـول الله، ما ســـبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل – عليه السلام -)[٥]

وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾[٦].

---

(١) البريد: (اثنا عشر ميلاً) مختار الصحاح (ص: ٣٢).

(٢) أواقي جمع أوقية: وزن من الأوزان، وهي سبعة مثاقيل، واللغة الجيدة أوقية، وجمعها أواقي وأواق. (تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) (٩/ ٢٧٩)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م).

(٣) أسكفة الباب: أعتابه (معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) (١/ ٢٣٤)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م).

(٤) قباء: (قرية قريبة من المدينة على ميلين منها أو ثلاثة) (المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي (٦/ ٢٧)، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب (مِن بعد الجزء ٦)، الناشر: مطبعة الاستقامة، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥١ – ١٣٥٣هـ).

(٥) أخرجه الحاكم وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه " (المستدرك على الصحيحين للحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار النشر: دار الحرمين، البلد: القاهرة – مصر، سنة الطبع: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م).

(٦) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

والأغرب من كل هذا أن هذا الصـــحابي الجليل وغيره من المهاجرين الأولين ومع كل ما خلفوه من ديار وأموال وما يقدمون عليه من مستقبل مجهول غير واضح المعالم قد كانوا ســائرين في ركاب الهجرة كأنهم ذاهبون إلى عرس، وكل ذلك – بطبيعة الحال – هو النتيجة الطبيعية والمتوقعة لصدق العقيدة لدى هؤلاء الأماجد.

التضحية بالزوج والولد:

والمرء يحار أيعجب من تضـحية صـهيب بالمال أم يعجب من تضـحية أبي سـلمة بالزوج والولد، فها هي السيدة أم سلمة[1] تروي لنا قصتها وزوجها في الهجرة كدليل يهدي الحائرين حيث تقول –رضـــي الله عنها–: (لما أجمع أبو ســلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابنى سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسـك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد! فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه. وغضـب عند ذلك بنو عبد الأسـد، رهط أبى سـلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صـاحبنا، فتجاذبوا ابني سـلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ففرق بيني وبين زوجي وبين ابنى، فكنت أخرج كل غداة أجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى أمسـى، سـنة أو قريبا منها، حتى مربي رجل من بني عمى، أحد بنى المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المســـكينة! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابنى، فارتحلت

(١) أم سلمة هي: (هند بنت أبي أمية واسمه سهيل زاد الركب ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة. تزوجها أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد، ومات لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة. فاعتدت منه وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع فتزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ليال بقين من شوال سنة أربع. وتوفيت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين). الطبقات الكبرى ط العلمية (٨/ ٦٩).

بعيري، ثم أخذت ابنى فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[١] لقيت عثمان بن طلحة[٢] بن أبى طلحة، فقال لي: إلى أين يا بنت أبى أمية؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ فقلت، لا والله، إلا الله وبنى هذا، قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوى بي، فو الله ما صحبت رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية- وكان أبو سلمة بها نازلًا- فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة.

فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة)[٣].

---

(١) التّنعيم: (موضع به مساجد حول مسجد عائشة وسقايات على طريق المدينة منه يحرم المكّيّون بالعمرة) (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، (ص: ٧٧)، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).

(٢) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله العبدري ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي، العبدري، الحجبي. حاجب البيت الحرام، وأحد المهاجرين، هاجر مع خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص إلى المدينة، له رواية خمسة أحاديث؛ منها واحد في صحيح مسلم، ثم دفع إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – مفتاح الكعبة يوم الفتح توفي (٤٢ هـ) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ١٠).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٩).

هذا ومن يتأمل هذه المشـــاهد ربما يظن أن هؤلاء الرجال الذي كانوا حول النبي (ﷺ) إنما نزحوا إلينا من عالم آخر غير عالمنا، وفي الواقع أنه لا عجب في ذلك حيث إنهم نشـأوا في مدرسـة النبوة التي أرسـت قواعد التضـحية من أجل العقيدة وكانت رائدة الدنيا في هذا الميدان.

تعقيب:

لا شـــك أن كل ما ســـبق ذكره لا يُعد إلا قليلًا من كثير وغيضًـــا من فيض من التضـحيات التي قدمها المسلمون الأوائل في الهجرة إلى المدينة وقبلها وبعدها، وإن كل هذه التضـحيات لتعلمنا كيف يكون الثبات على العقيدة، والاعتصـام بالدين الحق مهما كانت الظروف والملابســات، بل والســعي إلى نشــر هذا الدين حتى في أشــد المحن والظروف الصــعبة، وأن المســلم ليس كغيره ممن يعيشــون ويموتون دون أن تكون لهم بصـمة في الإصـلاح في شـتى صـورة أو في صـورة منه على الأقل، إنما هو صـاحب رســـالة وعليه حملها في أي مكان وُجد وعليه أن يتحمل في ســـبيل أداءها المشـــاق والمتاعب.

وعلى كل مسلم منا أن يسأل نفسه ماذا سيكون حاله إذا وضع في امتحان يشابه هذا الامتحان – امتحان الهجرة – على النحو السابق ذكره أو يقاربه؟

فما أحوجنا نحن المســـلمين إلى أن نأخذ هذه النماذج الفريدة في تاريخ البشـــرية جمعاء مشـــاعل نور نهتدي بها في واقعنا ومســـتقبلنا، حتى تنهض أمتنا من وثبتها وتصل إلى تحقيق العزة والكرامة وتستعيد أمجادها السابقة، وسلطانها القديم.

المبحث الرابع: القتال للدفاع وتأمين حرية العقيدة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر

إنَّ من يستعرض ما حدث مع النبي (ﷺ) وصحابته الكرام في مكة يعلم أن الإسلام لم يقم يومًا على السيف بل إنه كان دائمًا يجعله آخر الحلول لرد الاعتداء أو تأمين حرية الدعوة وليس الإكراه عليها وفيما يلي نبذة موجزة عما تعرض له النبي (ﷺ) وصحابته الكرام في مكة وذلك بالإضافة إلى ما سبق ذكره في معرض الحديث عن تضحيات الصحابة الأوائل المهاجرين إلى الله ورسوله (ﷺ) بالنفس والمال والأهل والولد، ليعلم الجميع أن إذن الحق سبحانه لنبيه باستخدام السيف وشهره في وجه المعتدي الظالم إنما كان بعد مراحل من الظلم والبطش تعرض لها المسلمون قلّ من يصبر عليها أو يتحملها.

أشكال لإيذاء التي تعرض لها النبي(ﷺ) وأصحابه في مكة:

لقد لقي رسول الله (ﷺ) من أشكال الإيذاء المادي والمعنوي ما لا يتحمله بشر (فقد اجتمع كفار قريش وكونوا منهم لجنة أعضاؤها خمسة وعشرون رجلًا من سادات قريش، رئيسها أبو لهب[1] عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وبعد التشاور والتفكر اتخذت هذه اللجنة قرارًا حاسمًا ضد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وضد أصحابه، فقررت ألا تألوا جهدًا في محاربة الإسلام، وإيذاء رسوله، وتعذيب الداخلين فيه، والتعرض لهم بألوان من النكال والإيلام). [2]

---

(١) هو: (عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، وكنيته أبو عتبة وأبو عتيبة وأبو معتب القرشي الهاشمي عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخباره وزوجه في إيذاء النبي مشتهرة، وهلك في السنة الثانية للهجرة) (تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧/ ١٦١).

(٢) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) (ص: ٧٤)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

وقد تنوعت وتعدد أشكال هذا النكال والإيلام للنبي(ﷺ) وصحابته الكرام أما بالنسبة للنبي (ﷺ) فأذكر مشهدًا واحدًا قد حدث مع شخصه الكريم – صلى الله عليه وسلم – كنموذج لما تعرض له (ﷺ) من إيذاء لا يتحمله أحد وذلك ما رواه لنا الإمام البخاري[١] بسنده عن عبد الله بن مسعود[٢]: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يصلي عند البيت، وأبو جهل[٣] وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى[٤]

---

(١) البُخاري: (١٩٤ – ٢٥٦ هـ = ٨١٠ – ٨٧٠ م) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، صاحب (الجامع الصحيح – ط) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ – ط) أجزاء منه، و (الضعفاء – ط) في رجال الحديث، و (خلق أفعال العباد – ط) و (الأدب المفرد – ط). ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته وأقام في بخارى، وتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خَرْتَنْك (من قرى سمرقند) فمات فيها) الأعلام للزركلي (٦/ ٣٤).

(٢) هو: (عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البدري، حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا توفي، سنة اثنتين وثلاثين) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ٤٦١).

(٣) أبو جهل هو: (عمرو بن هشام المخزومي، كان يُكَنَّى أبا الحكم، سماه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبا جهل لفرط غوايته) (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ(١/ ٣٩٣)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

(٤) (أيكم يجيءُ بسَلاَ جزور بني فلان): (سلا – بفتح السين مقصور– الجلد الرقيق الذي يكون على الولد بعد خروجه من بطن الأم. وقيل: هو في سائر الحيوانات كالمشيمة في الإنسان، والجَزُور – =

جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم[١] فجاء به، فنظر حتى سجد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئًا[٢]، لو كان لي منعة[٣]، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض[٤]، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره[٥]، فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأسه ثم قال:

بفتح الجيم وضم الزاي– البعير المنحور ذكرًا كان أو أنثى، إلا أن اللفظ مؤنث، يقال: هذه جَزُور بني فلان. قال الزمخشري في "الفائق": الجزور –بفتح الجيم– قبل النحر، فإذا نُحر يقال بضم الجيم). (المرجع السابق (١/ ٣٩٤)).

(١) قَوله: (فانبعث أشقي الْقَوْم وَهُوَ عقبَة بن أبي معيط). (كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (١/ ٢٨١)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض).

(٢) قوله: (وأنا أنظرُ لا أغني شيئًا) بالنون، من الإغناء، ويروى: لا أغيّر، بالتشديد من التغيير أي: مما فعلوا كناية عن عجزه). (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١/ ٣٩٤).

(٣) قوله: (وقد أردفه بقوله: (لو كان لي منعةٌ) أي: لفعلتُ. لو: للتمني، والمَنَعَة –بثلاث فَتَحات– جمع مانع، والمراد به القومُ والأنصار الذين يمنعون وصول الضرر، ويجوزُ إسكان النون، أي: لو كان لي قوةٌ). (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١/ ٣٩٤).

(٤) قوله: (ويحيل بعضهم على بعض) أي: يقول: أنت فعلت، أي: لما رأوه كذلك ترحموا وترفقوا. هذا والأولى أن يكون من حال على ظهر الدابة، أي: وَثَبَ، أي: من شدة الفرح، يَثِبُ بعضُهم على بعضٍ، يؤيده قوله [في] رواية مسلم: يميل بعضهم إلى بعض، لبُعد حاله عن الترحم.). (المرجع السابق (١/ ٣٩٤).

(٥) وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها في قومها ونفسها لكونها صرخت بشتمهم وهم رؤوس قريش فلم يردوا عليها).. (فتح الباري شرح صحيح البخاري(١/ ٣٥٢).

«اللهم عليك بقريش»[١]. ثلاث مرات، فشـــق عليهم إذ دعا عليهم[٢]، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مســتجابة، ثم ســمى: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة[٣]، وشـــيبة بن ربيعة[٤]، والوليد بن عتبة[٥]، وأمية بن خلف[٦]، وعقبة بن أبي

(١) (اللهم عليك بقريشٍ) اسم فعل بمعنى الزمْ. (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١/ ٣٩٤).

(٢) (فشَقَّ عليهم إذ دعا عليهم) إذْ، فاعل شَقَّ وإذ بمعنى إن أو تعليل، وفاعل شَقَّ دعاؤه عليهم (نفس المرجع والصفحة)

(٣) هو: (عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أبو الوليد القرشي العبشمي، قدم على قيصر في جماعة من قريش لاستخلاص أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وكان شاعراً، وقتل يوم بدر في السنة الثانية للهجرة كافراً قتله حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، حين خرجوا إليه. (مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) (١٦/ ٤٨) المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م).

(٤) هو: (شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وهو أخو عتبة سالف الذكر من زعماء قريش في الجاهلية، وقتل مع أخيه شيبة ببدر (٢ هـ = ٦٢٤ م) نفس المرجع والصفحة.

(٥) هو: (الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمي قتل ببدر كافراً (٢ هـ = ٦٢٤ م) (الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني، شهرته: ابن حجر (٨/ ١٦٥)، كلكتا (الهند)، سنة الطبع: ١٨٥٣م).

(٦) هو: (أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو وهب الجمحي زوجه صفية بنت معمر بن حبيب جمحية أيضا وحكى الزبير أنه كان إليه أمر الأزلام في الجاهلية فذكره قتل يوم بدر كافرًا(٢ هـ = ٦٢٤ م)) الاصابة في تمييز الصحابة ط الهند (٣/ ٢٤٦)

معيط[1]» – وعد السابع فلم يحفظ –، قال: فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صرعى، في القليب قليب بدر[2])[3]

أما عن أشكال الإيذاء التي تعرض لها المسلمون– لا سيما الضعفاء منهم– فحدث ولا حرج (فإن الإجراءات كانت أقسى من ذلك وأمر، ففي نفس الوقت قامت كل قبيلة تعذب من دان منها بالإسلام أنواعًا من التعذيب، ومن لم يكن له قبيلة فأجرت عليهم الأوباش والسادات ألوانًا من الاضطهاد، يفزع من ذكرها قلب الحليم.

كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال، والجاه، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به.

---

(١) هو: (عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي قتل يوم بدر (٢ هـ = ٦٢٤ م). (الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الرابعة أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) (ص: ١٦٧) تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق – الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ).

(٢) قوله: (في القليب قليب بدر) القليب هي البئر التي لم تطو وإنما وضعوا في القليب تحقيرًا لهم ولئلا يتأذى الناس برائحتهم وليس هو دفنا لأن الحربي لا يجب دفنه) (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) (١٢/ ١٥١)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ).

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد عليه صلاته (١/ ٥٧) رقم: (٢٤٠)، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

وكان عم عثمان بن عفان[١] يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته. ولما علمت أم مصعب بن عمير[٢] بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشًا، فتخشف جلده تخشف الحية.

وكان بلال[٣] مولى أمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يضع في عنقه حبلًا، ثم يسلمه

(١) هو: (عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عمرو، ذو النورين مهاجري، ذو الهجرتين، بدري بسهمه وأجره أمه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأم أروى أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم، اسمها البيضاء كان أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط، كان أشبه الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم خلقًا، لم يجمع بين بنتي نبي غيره، كانت خلافته ثنتي عشرة سنة، توفي سنه تسعون، وقيل: ثمان وثمانين، قتل مظلومًا سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة أوسط أيام التشريق يوم الجمعة، ودفن بالبقيع ليلًا) (معرفة الصحابة لأبي نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) (٤/ ١٩٥٢) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

(٢) هو: (مصعب بن عمير القرشي العبدري من بني عبد الدار بن قصي، من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا، واستشهد يوم أحد، وهو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى، ليعلمهم القرآن، ويدعوهم إلى توحيد الله ودينه، وكان يدعى المقرئ، وكان من أنعم فتيان قريش عيشًا، وألينهم لباسًا، فدعته محبة الله عز وجل إلى مفارقة الدنيا ولذاتها، فتحشف جلده تحشف الحية، ثم أكرمه الله بالشهادة يوم أحد سنة ٣ للهجرة) المرجع السابق (٥/ ٢٥٥٦).

(٣) هو: (بلال بن رباح الحبشي المؤذن مولى أبي بكر الصديق روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) روى عنه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر، مؤذن النبي (صلى الله عليه وسلم) وسكن الشام، شهد بدرًا، سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) روى عنه ابن عمر مات بالشام زمن عمر بن الخطاب قاله البخاري بدمشق سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة). تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠/ ٤٣٥).

إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه)[١].

وهذه إطلالة سريعة على قليل من كثير وغيض من فيض مما تعرض له النبي (ﷺ) وصحابته الكرام من إيذاء لا يقوى على تحمله أي أحد ومع كل هذا الإيذاء والاضطهاد الواقع فقد كان النبي (ﷺ) يحض أصحابه على مزيد من الصبر والتحمل إذ لم يكن قد أمر بقتال مع أن أصحابه كانوا يستعجلون الأمر بالقتال لرد هذه الاعتداءات الهمجية والمتكررة من كفار قريش ومما جاء في ذلك ما روي عن خباب بن الأرت[٢]، قال: (شكونا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا[٣]، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار[٤] فيوضع على رأسه فيشق

(١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري) (ص: ٧٨).

(٢) هو: (خَبَّاب بن الأَرَتِّ أبو عبد الله مولى بني زُهْرة رَوَى عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، رَوَى عنه ابنه عَبد الله بن خَبَّاب وابنته وقَيْس بن أبي حَازِم وغيرهم مات بالكوفة أول من مات بها سنة سبع وثلاثين صلى عليه علي بن أبي طالب وكان من أهل بدر من المهاجرين الأولين). (المؤتلف والمختلف للدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)(١/ ٤٦٩)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

(٣) قوله: (ألا) بالتخفيف للتحريض (تستنصر) تطلب (لنا) من الله –عز وجل– النصر على الكفار (ألا) بالتخفيف. (شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) (٦/ ٦٠)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ).

(٤) (المنشار) بالنون: آلة قطع الخشب، ويقال: مئشار، بالهمزة، من أشرت الخشبة: قطعتها (اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ) (١٠/ ١٨٥)، تحقيق ودراسة: لجنة =

باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه[١] من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء[٢] إلى حضرموت[٣]، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»)[٤].

وبعد كل هذا التحمل من ألوان الإيذاء وأشكاله أتي الأمر الإلهي بالسماح للمظلوم برد الظلم عن نفسه.

قال- تعالى-: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور**﴾[٥].

قال المفسرون: (كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج، فشكوهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- [فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر رسول الله صلى الله

مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

(١) (وما دون لحمه)؛ أي: تحت لحمه، أو عند لحمه. (نفس المرجع والصفحة).

(٢) (صنعاء) بفتح المهملة، وسكون النون، والمد: قاعدة اليمن، ومدينته العظمى. (نفس المرجع والصفحة).

(٣) (حضرموت) بفتح المهملة، وسكون المعجمة، وفتح الراء والميم: بلدة باليمن أيضا. (نفس المرجع والصفحة).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١) حديث رقم: (٣٥٧١).

(٥) سورة الحج: الآيات من (٣٩ -٤١).

عليه وسلم] فأنزل الله تعالى هذه الآية)[1].

وروى الإمام الطبري في تفسيره عن جماعة أنه: (عني بهذه الآية قومًا بأعيانهم كانوا خرجوا من مكة يريدون الهجرة، فمنعوا من ذلك)[2].

وقد روى الإمام ابن كثير[3] وغيره عن ابن عباس في قوله -تعالى-: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٍ**﴾ وقد فعل، وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددًا فلو أمر المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وكانوا نيفًا[4] وثمانين، قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي، يعنون

(١) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، (ص٣١٩)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٦٤٤-١٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الناشر/ مؤسسة الرسالة.

(٣) ابن كَثِير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته.، ومن كتبه (البداية والنهاية – ط) ١٤ مجلدا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧ (٣) و (شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و(طبقات الفقهاء الشافعيين – خ) في شستربتي (٣٣٩٠) كتب في حياته سنة ٧٤٩ و (تفسير القرآن الكريم – ط) عشرة أجزاء) انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠).

(٤) النَّيِّف: (الزِّيَادَة، من قَوْلهم: نيَّف على السّبْعين، أَي زَاد عَلَيْهَا). (جمهرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) (٢/ ٩٧٢)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

أهل منى[١]، ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إني لم أومر بهذا» فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي – صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شذر مذر[٢]، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلًا يلجئون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك، فقال – تعالى–: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير**﴾[٣])[٤].

وفيما رواه الإمام ابن كثير عن سيدنا ابن عباس – رضى الله عنه – إشارة إلى أول وطن إسلامي في التاريخ الإسلامي انعقدت واكتملت أركانه وأسست قواعده في المدينة المنورة كما جاء في الآية اللاحقة وهى قوله –سبحانه–: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ**

---

(١) منى: (جبل بمكة شهير، يذكر ويؤنث بنيت على ضفتي الوادي النازل من عرفات، وفي وسط ذلك الوادي الجمرتان: الأولى جمرة العقبة، أول ما يلقى من منى في رأس العقبة عن يسار الداخل في منى في ناحية مكة، والحصاة قربان فما تقبل منه رفع، وما لم يتقبل بقي. (الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ) (ص: ٥٥١– ٥٥٢)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية)، ١٩٨٠م.

(٢) (يقال ذهبت غنمك شِذَرَ مِذَرَ، وشَذَرَ مَذَرَ، وبِذَرَ وبَذَرَ، وشَغَرَ بَغَرَ: إذا تَفَرَّقَتْ في كل وجه). (المنتخب من كلام العرب، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ) (ص: ٥١١)، المحقق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٣٨٠–٥)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ، الناشر/ دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.

فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور﴾(١).

(وهى صفة لمن تقدم وهو قوله: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ والأنصار ما أخرجوا من ديارهم، فيصير معنى الآية أن الله –تعالى– وصف المهاجرين بأنه إن مكنهم من الأرض وأعطاهم السلطنة، فإنهم أتوا بالأمور الأربعة، وهي: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)(٢).

قال الإمام الطبري: ("ويعني بقوله: ﴿**إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ إن وطَّنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وآتوا الزكاة، يقول: وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له ﴿**وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ**﴾، يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله ﴿ **وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾، يقول: ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحقّ والإيمان بالله ﴿ **وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور**﴾، يقول: ولله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها، والعقاب في الدار الآخرة")(٣).

هذا وإن كان الأنصار قد بذلوا وأعطوا وآووا ونصروا إلا أن (حال المهاجرين أعلى في الفضيلة من حال الأنصار لوجوه:

أولها: أنهم هم السابقون في الإيمان الذي هو رئيس الفضائل وعنوان المناقب.

وثانيها: أنهم تحملوا العناء والمشقة دهرًا دهيرًا، وزمانًا مديدًا من كفار قريش وصبروا عليه، وهذه الحال ما حصلت للأنصار.

---

(١) سورة الحج: الآية ٤١.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٢٣– ٢٣٠، ٢٣١)، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (٦٥١–١٨).

وثالثها: أنهم تحملوا المضـــار الناشـــئة من مفارقة الأوطان والأهل والجيران، ولم يحصل ذلك للأنصار.

ورابعها: أن فتح الباب في قبول الدين والشريعة من الرسول – عليه السلام– إنما حصل من المهاجرين، والأنصار اقتدوا بهم وتشبهوا بهم)[1].

تعقيب:

وأستطيع أن أستخلص مما سبق: أن تأجيل الإذن في قتال المشركين رغم ما كان يواجهه المسلمون من اضطهاد وعنت[2] شديدين يدل على أن الإسلام ليس دين عنف كما يدعي البعض الآن، وأنه لم يُشهر السيف إلا في وجه المعتدين الظالمين المانعين وصول دعوة الحق إلى العباد كحل أخير بعد استنفاذ كل الطرق السلمية.

وفي الوقت نفسه نتعلم من هذا السلوك أيضًا التدرج في الدعوة إلى الله – تعالى – فقد كان ثمت هدفًا اســتراتيجيًا من وراء هذا التأجيل للقتال وهو الانتظار إلى حين بناء قاعدة قوية تعلوها قيادة تأخذ طابعًا جديدًا – طابع الدولة– وتكون كيانًا مســـتقلًا ذا ســـيادة وقيادة تعلوها الدعوة إلى توحيد الله بالعبادة دون ســـواه وإقامة أحكام الدين وشعائره.

هذا ومن ينظر بعين الباحث إلى هذا التدرج في التشـــريع يعرف أن أمر القتال لا يمكن أن يخضـــع للاجتهاد الفردي من آحاد الأمة – كما يفعل بعض الشـــباب المُغرر بهم في واقعنا المعاصـــر – إنما هو من صـــلاحيات القيادة الســـياســـية التي على رأس الدولة أو الحكومة.

* * *

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٥١٥– ٥١٦).

(٢) العنت: (إدخال المشقة على إنسان. عنت فلان، أي: لقي مشقة. وتعنته تعنتا، أي: سألته عن شيء أردت به اللبس عليه والمشقة. والعظم المجبور يصيبه شيء فيعنته إعناتا): كتاب العين (٢/ ٧٢).

المبحث الخامس: دور الوطن الجديد في حماية العقيدة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر

لقد أصبحت المدينة المنورة معقل الإسلام ومركز الدولة الإسلامية الوليدة فيها تعقد المعاهدات ومنها ترسل الرسل والجيوش إلى القبائل والممالك، ومن ينظر إلى الموقع الجغرافي للمدينة المنورة يجدها تقع في موقع ذا أهمية اقتصادية بالغة حيث تمر عليها كل قوافل مكة التجارية، ومن ثم فهي تستطيع عمل قرصنة لتلك القوافل كما في إمكانها التعرض لها وإيقاف تجارة مكة التي تقوم عليها حياتهم ومعيشتهم، ولم يكتف النبي (ﷺ) بترسيخ العقيدة في قلوب المؤمنين فقط إنما عمل على إقامة وطن إسلامي جديد.

وقد وفرت المدينة المنورة الجو الصحي لبناء المجتمع المسلم الذي يصير المسلمون فيه قوة تستطيع حمل الدعوة على عاتقها ونشرها في ربوع الدنيا وتوفر حرية العقيدة للمؤمنين ومن يود الدخول في الإسلام ويخاف ألاّ يجد قوة تحميه.

فلقد أصبح للمسلمين دارًا يئوون إليها وسط هذا المجتمع الذي يعج بالكفر والظلام وأفكار الجاهلية.

هذا ولم يشعر المشركون أن الخطر قد زال برحيل النبي(ﷺ) وأصحابه عن مكة واتخاذهم وطنًا آخر للإقامة بل إنهم أيقنوا أن هذا الوطن الجديد، وأن هذا الانتقال الجديد هو أشد خطرًا عليهم من تواجد النبي(ﷺ) وأصحابه بين ظهرانيهم، حيث إن كبح جماح الدعوة والحيلولة دون انتشارها ممكن نسبيًا حال وجود النبي (ﷺ) وأصحابه بين ظهرانيهم وتحت أعينهم متابعين تحركاتهم والمترددين على الدعوة والمهتمين بشأنها أما إذا انتقلت الدعوة برجالها وعلى رأسهم حضرته (ﷺ) فإن الأمر سيخرج عن سيطرتهم وستتسع آفاق الدعوة فهم يعلمون عذوبة منطق النبي (ﷺ) في الدعوة وإقبال الناس على سماعه وهذا ما يشكل خطرًا أكبر بالنسبة لهم فهم يرون أن نجاح الدعوة

بمبادئها السمحة وغاياتها النبيلة تهديد مباشر للباطل الذي يبغونه.

ويضيف الأستاذ الشيخ محمد الغزالي قائلًا: (فلم تكن الهجرة تخلّصا فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاونًا عامًا على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن.

وأصبح فرضًا على كلّ مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأنّ يبذل جهده في تحصينه، ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة- بعد الهجرة إليها- نكوصًا عن تكاليف الحق، وعن نصر الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فالحياة بها دين، لأنّ قيام الدين يعتمد على إعزازها)[1].

وكم من أصحاب باطل وضلال يدعون إلى إعزاز ما يعتقدون من الباطل بإقامة وطن يرتع فيه هذا الباطل ويرقص ويلعب فوق جثث الأبرياء، فمثلًا: (في عصرنا هذا أعجب اليهود بأنفسهم، وعانق بعضهم بعضًا مهنّئًا؛ لأنهم استطاعوا تأسيس وطن قوميّ لهم، بعد أن عاشوا- مشرّدين- قرونًا طوالًا.

ونحن لا ننكر جهد اليهود في إقامة هذا الوطن، ولا حماس المهاجرين من كلّ فجّ للعيش به، ومحاولة إحيائه وإعلائه.

ولكن ما أبعد البون بين ما صنع اليهود اليوم- أو بتعبير أدق: ما صنع لليهود اليوم- وبين ما صنع الإسلام وبنوه لأنفسهم، يوم هاجروا إلى يثرب نجاةً بدعوتهم، وإقامةً لدولتهم..))[2].

والمراد من المثال الذى ضربه الشيخ إقرار أنه إذا كان هذا هو شأن دعاة الباطل، والضلال فما بالك بدعاة الحق، والهداية للبشرية أليسوا هم الأجدر بأن يقوم لهم وطن جامع يتخذونه قاعدة لإرسال مشاعل نور الإسلام، ودعوته إلى الدنيا كلها.

وذلك أن (الحق سبحانه وتعالى أراد تجميع قوى المؤمنين في بلد واحد في صدر

---

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٦٥).

(٢) نفس المرجع والصفحة.

الإسلام حتى يكونوا قوة متماسكين مرهوبين أمام الأعداء، فحضّ على الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة، ورفض بلاد الكفر والشرك والإقامة مع المشركين، وجعل الجهاد مفضلًا... لإعزاز الدين وأهله، والتخطيط لبناء الأمة والمجتمع في المستقبل)[1].

كذلك مما تجدر الإشارة إليه أن الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة كانت تفتقر إلى العنصر البشرى حيث إن النبي ـ ﷺ ـ ومن معه من المهاجرين والأنصار كانوا في مرحلة بناء الدولة الجديدة ونشر الدعوة الإسلامية والذود عنها و ضمان حريتها، وكثير من المهام الجسام التي تستدعى وجود العنصر البشرى المؤمن بجوار النبي ـ ﷺ ـ إلى أن تقوى شوكة المسلمين ويحققوا أهدافهم المنشودة لخدمة الإسلام، ودعوته، فالهجرة في هذه الحالة كانت (واجبة) على كل مسلم مقيم في خارج هذا الوطن الإسلامي الوليد ولا يأمن على نفسه أن يفتن في دينه ولم يكن له عذر في البقاء في خارج المدينة وذلك لمصلحة الدعوة الإسلامية، فقد كانت المدينة في هذا التوقيت هي الموضع الذي يأمن فيها المسلم على نفسه، وعرضه، وماله، ودينه، ولذا كانت الدعوة إلى أن من يُسلم يتحول إليها.

هذا، ولا يتصور أن نتحدث عن المهاجرين بكل هذا القدر من التبجيل والتوقير وننسى ما كان للأنصار من فضل في استقبال الدعوة الجديدة وقائدها (ﷺ) ورجالها وتوفير الجو الآمن لهم للقيام بمهماتهم الجسام فقد امتدح الحق سبحانه وتعالى الأنصار بقوله – تعالى–: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾، وهم الأنصار ﴿ تَبَوَّءُوا الدَّارَ ﴾ توطنوا الدار،

(١) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (١/ ٨٤٤).
(٢) سور الحشر: الآية ٩.

أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان)[1].

(ونظم الآية (والذين تبوؤا الدار من قبلهم) أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوء، (يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة)، حزازة وغيظا وحسدا، (مما أوتوا)، أي مما أعطى المهاجرون دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك، (ويؤثرون على أنفسهم)، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، (ولو كان بهم خصاصة)، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم)[2].

تعقيب:

لقد تجلت صفات الوطن الإسلامي الجديد الذي وعد الله به عباده الموحدين في المدينة المنورة بعد انتقالهم من البقعة التي كانت آن خروجهم منها موضع استضعاف وإيذاء لهم لما تقدم ذكره من تفنن المشركين في إلحاق ألوان العذاب وصنوف الإيذاء المختلفة بالمسلمين في مكة إلى البقعة التي يظهر فيها دين الله ويمكن فيها لعباده الموحدين "المدينة المنورة".

ويستفاد من هذا أنه على المسلم أن يلبي نداء الله – سبحانه وتعالى – في أي موقع من الأرض وألا يستبعد مكانًا أُمر بالذهاب إليه لمصلحة الدين والدعوة، ما دام ارتحاله هذا لله – سبحانه – وابتغاء مرضاته.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، (٥٨-٥)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) تفسير البغوي – إحياء التراث (٥/ ٥٨)

الخـــاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولا- النتائـــج:

بعد هذا العرض للقضـية محل الدراســة، وما يتعلق بها أســتطيع أن ألخص ما توصلت إليه من خلال الدراسة في النقاط الآتية:

(١) إنَّ الهجرة النبوية لا تعد حدثًا تاريخيًا عاديًا كغيره من الأحداث المرحلية، إنما كانت حدثًا حمل في طياته الكثير من الدروس المســتفادة التي على المســلم أن يقف أمامها ويتعلم منها.

(٢) إنَّ المؤمن الحق هو الذى يلبى نداء الإســلام في أي مكان ولديه اســتعداد أن يهاجر تاركًا وطنه، وممتلكاته وراء ظهره إن تطلب الأمر من أجل إعلاء شـــأن دينه.

(٣) إنَّ العقيدة لا تقبل المساومة عليها أو وضعها في مقارنة مع أي شيء آخر فقد كان من أهم أسباب الهجرة صون عقيدة المؤمنين عن العبث بها وممارسة أي ضغوط عليهم لتركها أو العبث بها.

(٤) إنَّ الهجرة لم تكن تخليًا عن المسئولية ولا انسحابًا من الميدان، إنما هي عملية مرحلية انتقل فيها المسلمون من المكان الذي كانوا يستضعفون فيه وتجرى فيه محاولات فتنهم عن دينهم ظلمًا وعدوانًا إلى المكان الذي يســتطيعون فيه إقامة شعائرهم وتكوين معسكرهم الجديد للدعوة إلى الله – تعالى– عن طريق اللسان أو السنان إن تطلب الأمر.

(٥) إنَّ الإســلام ليس دين عنف كما يدعي البعض الآن ولم يُشــهر الســيف إلا في وجه المعتدين الظالمين المانعين وصـــول دعوة الحق إلى العباد كحل أخير بعد استنفاذ كل الطرق السلمية.

التوصيات:

(١) على كل مسلم أن يضع أمامه دومًا هذه النماذج الفريدة في تاريخ البشرية جمعاء – المهاجرون الأوائل– في التضحية والفداء وأن يتخذها مشاعل نور يهتدي بها في واقعه ومستقبله، حتى تنهض أمتنا من وثبتها وتصل إلى تحقيق العزة والكرامة وتستعيد أمجادها السابقة، وسلطانها القديم.

(٢) قيام العلماء المستنيرين عن طريق الكتابة أو اللقاءات التلفزيونية أو الطرق الإلكترونية الحديثة الأخرى بتوضيح قيمة الهجرة النبوية المباركة وتحليل أحداثها وتقديم العلاج من خلالها لكثير من القضايا الحالة التي تشغل بال المجتمعات والأفراد.

(٣) دعوة الدعاة والباحثين والمعنيين بالشأن الإسلامي إلى خوض غمار الموضوعات التي تتعلق بالسيرة النبوية والتي يثيرها العلمانيون بين الفينة والفينة باغين من وراءها التشكيك في قدرة السيرة النبوية على مواكبة العصر وحل مشكلاته والرد على هؤلاء بالفكر المستنير من وقع السيرة ذاتها.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله.

(١) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

(٢) **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) **الإصابة في تمييز الصحابة**، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني، شهرته: ابن حجر، كلكتا (الهند)، سنة الطبع: ١٨٥٣م).

(٤) **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

(٥) **أهمية المنهج التحليلي وتطبيقه في العلوم الإسلامية**، فاطمة الزهراء العباسي بدون طبعة أو تاريخ.

(٦) **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) بدون طبعة أو تاريخ.

(٧) **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي المتوفى: ٥٥٨هـ، المحقق: قاسم محمد النوري، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الناشر: دار المنهاج – جدة.

(٨) **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي المتوفى: ١٢٠٥هـ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٩) **تاريخ دمشق لابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(١٠) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(١١) **تفسير الإمام الشافعي**، الإمام / أبو عبد الله محمد بن إدريس الْمُطَّلَبِي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (رسالة دكتوراه)، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية.

(١٢) **تفسير القرآن الحكيم** – تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني المتوفى: ١٣٥٤هـ، طبعة ١٩٩٠م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٣) **تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني المتوفى: ١٣٥٤هـ، طبعة ١٩٩٠م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٤) **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.

(١٥) **التفسير الوسيط للزحيلي**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق – الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

(١٦) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(١٧) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(١٨) **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت.

(١٩) **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هجرية – ١٩٨٦م.

(٢٠) **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م).

(٢١) **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م).

(٢٢) **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى: ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٢٣) **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٢٤) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد عليه صلاته، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢٥) **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٢٦) **جمهرة أنساب العرب**، لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)

(٢٧) **حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن)**، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هجري– ١٩٨٦ م.

(٢٨) **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م

(٢٩) **الدلائل في غريب الحديث**، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (المتوفى: ٣٠٢هـ) تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٣٠) **رجال مسلم**، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر توفي ٤٢٨ هـ تحقيق عبد الله الليثي، الناشر دار المعرفة، سنة النشر ١٤٠٧ هـ مكان النشر: بيروت.

(٣١) **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

(٣٢) **الروض المعطار في خبر الأقطار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية)، ١٩٨٠م.

(٣٣) **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع.

(٣٤) **سير أعلام النبلاء ط الرسالة**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

(٣٥) **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

(٣٦) **الشَّافِي فِيْ شَرْحِ مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأَثِيْرْ**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى:

٦٠٦هـ)، المحقق: أحمد بن سليمان – أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، الطبعة: الأولي، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، الناشر: مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض – المملكة العربية السعودية.

(٣٧) **شذرات الذهب** – لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي المتوفى: ١٠٨٩هـ، دار النشر: دار الكتب العلمية.

(٣٨) **شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ).

(٣٩) **الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)**، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية.

(٤٠) **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمٍ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

(٤١) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٤٢) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤٣) **الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الرابعة** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق – الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ.

(٤٤) **الطبقات الكبرى ط العلمية**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٤٥) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى المتوفى: ٨٥٥هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤٦) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

(٤٧) **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

(٤٨) **فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار**، الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الرُّباعي الصنعاني (المتوفى: ١٢٧٦هـ)، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

(٤٩) **الفروق اللغوية للعسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٥٠) **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، محمّد سَعيد رَمضان البوطي، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ، الناشر: دار الفكر – دمشق.

(٥١) **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٥٢) **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣هـ، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٥٣) **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٥٤) **الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٥٥) **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م).

(٥٦) **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٥٧) **المحلى بالآثار**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى: ٤٥٦هـ، الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٥٨) **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٥٩) **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري المتوفى: ١٤١٤هـ، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

(٦٠) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان.

(٦١) **المستدرك على الصحيحين للحاكم**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار النشر: دار الحرمين، البلد: القاهرة – مصر، سنة الطبع: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٦٢) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٦٣) **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت.

(٦٤) **المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري**، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة.

(٦٥) **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(٦٦) **معجم ديوان الأدب**، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

(٦٧) **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٦٨) **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى: ٦٠٦هـ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٦٩) **المفاتيح في شرح المصابيح**، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من تحقيقين بإشراف: نور الدين طالب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية.

(٧٠) **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ (ت ٦٥٦هـ)، بدون طبعة أو تاريخ.

(٧١) **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٧٢) **مناهج البحث في العلوم السياسية**، دكتور: محمد محمود ربيع الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، الناشر: مكتبة الفلاح– الكويت.

(٧٣) **المنتخب من كلام العرب**، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـــ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـــ)، المحقق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م.

(٧٤) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـــ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

(٧٥) **المنهج الفقهي للإمام اللكنوي**، الدكتور: صلاح محمد أبو الحاج، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، الناشر: دار النفائس، عمان، الأردن.

(٧٦) **منهجية إعداد بحوث الدراسات العليا(ماستر - ماجستير - دكتوراه)** د/ الهاشمي بن واضح بدون طبعة ٢٠١٦م.

(٧٧) **المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود**، محمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب (مِن بعد الجزء ٦)، الناشر: مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥١ - ١٣٥٣هـ.

(٧٨) **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بتصرف.

(٧٩) **المؤتلف والمختلف للدارقطني**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٣٤٦٥
أسباب اختيار البحث: ٣٤٦٨
خطوات البحث: ٣٤٧٠
الدراسات السابقة: ٣٤٧١
خطة البحث: ٣٤٧٢
التمهيد ٣٤٧٣
المبحث الأول: فرضية الهجرة لحماية العقيدة وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر ٣٤٨٠
المبحث الثاني: الاستثناء من فرضية الهجرة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر .. ٣٤٩٧
المبحث الثالث: نماذج من التضحيات وسبل الاستفادة منها في الواقع المعاصر ٣٥١١
المبحث الرابع: القتال للدفاع وتأمين حرية العقيدة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر ٣٥١٩
المبحث الخامس: دور الوطن الجديد في حماية العقيدة وسبل الاستفادة منه في الواقع المعاصر
..... ٣٥٣١
الخاتمة ٣٥٣٥
أولاً- النتائج: ٣٥٣٥
التوصيات: ٣٥٣٦
فهرس المصادر والمراجع ٣٥٣٧
فهرس الموضوعات ٣٥٤٦